أسرار الصلاة

والفرق والموازنة بين ذوق الصلاة والسماع

بسم الله الرحمن الرحيم

يُطبع لأوّل مرّة على ثلاث نسخ خطيّة

أسرار الصّلاة

والفرق والموازنة بين ذوق الصّلاة والسّماع

للإمام العلاّمة أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب الزّرعي الدّمشقيّ الشّهير
بابن قيّم الجوزيّة
٦٩١ - ٧٥١ هـ

حقّقه وعلّق عليه
إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

أقوال أهل العلم في العلامة الإمام ابن القيم

قال تلميذه الإمام ابن رجب الحنبلي:

(وكان رحمه الله تعالى: ذا عبادة وتهجّد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتألُّه ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة، والاستغفار، والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطّراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك).

«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٨)

قال تلميذه الإمام ابن كثير الشافعي:

(وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة، يطيلها جدًا، ويمدّ ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله تعالى).

«البداية والنهاية» (٧/٦٥٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي ظهر لأوليائه بنعوت جلاله، وأنار قلوبهم بمشاهدة صفات كماله، وتعرّف إليهم بما أسداه إليهم مِنْ إنعامه وإفضاله، فعلموا أنّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا شريك له، بل هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به أحد من خلقه في إكثاره وإقلاله، لا يحصى أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه على لسان من أكرمهم بإرساله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائم له بحقه، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين وإماماً للمتقين، وحسرة على الكافرين، وحجة على العالمين أجمعين[(١)].

أما بعد:

فقد مَنَّ الله عليَّ إذْ وفقني وانتدبني لإخراج هذا السفر الجليل، بهذِهِ الصورة، معتمداً في إخراجه على ثلاث نسخ خطية من بلدان ثلاث.

وسيمضي القارئ رحلته مع الكتاب ويجد متعته عبر ما خطه وكتبه الإمام ابن القيم في سرد لمجموعة من أسرار الصلاة وحِكَمها، وما فتحه المولى عليه، فأعطى لكل جانب من الصلاة حقّه وأنزله منزلته التي أرادها المولى سبحانه من عبده، وقد حاولت جاهداً خدمة نص الكتاب بما فتح الله عليّ.

أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا العمل الضئيل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويحسن علينا -ولسنا لذلك أهل- من كرمه الواسع وجوده وبره،

(١) هذه المقدمة مأخوذة من مقدمة ابن القيم لكتابه «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٣، ٤) مع اختصار.

وإن يغفر زلاتي وعثراتي، ويهدني ويهدي أمتي إلى صراطه المستقيم ويحسن خواتيم عملنا.

ولئن فارقني الصواب في موضع عند تحقيقي الكتاب فإني لأرجو أن لا يفوتني الأجر من الله المطّلع على القلوب، والعالم بالسرائر، إنّه بعباده رؤوف رحيم.

وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أبو معاذ

إياد بن عبداللطيف بن إبراهيم

القيسي

عمّان - الأردن في ٢١ شوال ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٦ كانون الأول ٢٠٠٢م

مقدمة في الجهود التي بذلت حول كتابات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم

فإنّه مِنْ نِعَمِ الله علينا وعلى الناس أجمعين، أن يستعملنا في نشر مؤلفات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم -رحمهما الله تعالى- وأن يستعملنا لوصل جهود المصلحين في نشر آثار هؤلاء الأعلام.

ومنذ أن أقسم ابن مُرِّي في رسالته إلى تلاميذ شيخ الإسلام قائلاً: «ووالله -إن شاء الله- ليقيمن الله سبحانه لِنصرِ هذا الكلام[١] ونشره، وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده، واستحسان غرائبه وعجائبه، رجالاً هم الآن في أصلاب آبائهم..» ا.هـ[٢]

ومع ظهور المطابع في العالم الإسلام فقد تتابع أهل الإصلاح سواء كان منهم من العلماء أو الدعاة أو الولاة أو الأثرياء، تنافساً بطبع ونشر وذيوع مؤلفات هذين العلمين.

وفضل السبق كان لعلماء الهند، ثم لعلماء مصر والعراق والشام والجزيرة العربية وغيرها من البلاد، وقد سرد العلامة الفاضل الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد جُلَّ أسماء هؤلاء في كتابه البديع «المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها مِنْ أعمال»، وما أحب أن أضيفه على ما كتب وأفاد: أنني وبحمد الله وباشتراكي مع أخينا الفاضل محمد بن ناصر العجمي في الشروع بنسخ كتاب علامة العراق محمود شكري الألوسي الموسوم بـ«رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين» عن نسخته الوحيدة والمحفوظة في مكتبة

(١) أي كلام شيخ الإسلام ومؤلفاته.

(٢) رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مُرّي الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٦)، مطبوعة ضمن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبع قرون»

المتحف العراقي -دار صدام حالياً- تحت رقم (٨٥٣٤)، ويقع في (٥٥٣ صفحة) لنشره، والتعليق عليه، وقد تبين لي من خلال المراسلات التي تداولها الألوسي مع علماء ودعاة عصره وفيما يخص موضوع نشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الهمام ابن قيم الجوزية، أسماء علماء ودعاة وولاة وتجار كانت لهم صفحات مشرقة بنشر وتمويل وطباعة هذه الكتب والمؤلفات والرسائل والمسائل.

كما ستفتح هذه المراسلات آفاقاً جديدة لمعرفة بعض مخطوطات هذين العلمين.

وراقم هذه السطور طويلب علم، حسبه فخرًا أن يمنَّ عليه المولى جلَّ في علاه ويكرمه بنشر رسالة أو كتاباً لهذين الطودين، وحسبه كذلك أن يكتب اسمه بذيل قائمة أولئك المصلحين والعلماء، ممّن صرف جهداً كبيراً لنشر كتابات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

وتأسياً بعلامة العراق محمود شكري الألوسي رحمه الله، الذي وصفه تلميذه البار محمد بهجت الأثري رحمه الله[(١)]:

(لكن أعظم جهده كان مصروفاً إلى كتب الإصلاح الديني، ولا سيما كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم؛ فإنّ تقصّيه لها في خزائن الكتب بالعراق والشام ومصر والحجاز ونجد والهند، واستكتابه إياها أو نسخه لها بيده، وجدّه في تحقيقها وسعيه في طبعها هو فوق الوصف..)[(٢)].

فلي أسوة بالشيخ الألوسي -وأنا من بلده- في بذل كل الوسع في نشر ما لم

---

(١) توفي محمد بهجت الأثري سنة (١٤١٧هـ)، وهو من أنبل تلاميذ الشيخ محمود شكري الألوسي، وله الفضل بعد الله بالتعريف بالألوسيين، والأثري ولد سنة (١٣٢٠هـ).
(٢) محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، محمد بهجة الأثري (ص١٢٨).

يُنشر أو نشر ما فيه من أغاليط طباعية، أو ما طُبع على نسخة ناقصة.

ولقد شرفني المولى بنشر كتاب «فوائد حديثية» لابن قيّم الجوزية مع الأخ مشهور حسن السلمان، وطبع في دار ابن الجوزي في الدمام سنة (١٤١٦هـ) بعد أن شكك بنسبته لابن القيم أفاضل مِنْ أهل العلم، وأثبتُّ نسبته إليه ولله الحمد.

وأسأل الله جلّ في علاه أن يمكنني من إتمام كتاب ابن القيم «رفع اليدين في الصلاة» فقد انتهيت من نسخة، وقطعت شوطاً في تحقيقه.

وعثرت على ورقات في تفسير سورة البينة، وثبتت عندي نسبتها لابن القيم.

هذا وسأشرع بنقل صفحات من مخطوطة «رياض الناظرين» لبيان جهود الألوسي وجهود كثير من الأفاضل ممن لم يذاع ذكرهم في هذا الجانب.

في البحث والتنقيب ونشر رسائل وكتب ومؤلفات الشيخين العظيمين

رسالة من عبدالأحد بن القاضي محمد حسن الخانفوري من الهند:

(..فقد وصل إلينا كتابكم الكريم .. في طلب كتاب «العقل والنقل» .. ونحن بحمد الله لا نبخل ولا نضن في نصرة الدين إشاعة التوحيد وعقائد سلف الأمة وأئمتها، لا سيما نشر كتب الشيخين المعظمين شيخ الإسلام تقي الدين والحافظ ابن القيّم).

إلى أن قال: (وأما كتاب «رد المنطق» لشيخ الإسلام الذي هو عند المولوي نور الدين المرزآئي مريد المرزا الكذاب؛ الذي ادعى النبوة، وهو من أعدى أعدائنا..).

إلى أن قال: (وقد كتب لنا الأخ يوسف حسين في الكتاب الثاني «نونية»

«ابن القيّم» و«إغاثة اللهفان» و«طريق الهجرتين» له، و«الصارم المنكي» و«نونية القحطاني» قد طبعت، فإن كان ما كتب حقاً وصدقاً فاكتبوا لنا عن أثمانها..).

إلى أن قال: (وقد فرحنا بظفركم بكتاب «تفسير سورة الإخلاص» وكتاب «جواب أهل الإيمان» وفقكم الله لطبعهما).

وهذه الرسالة كتبت سنة (١٣٢٢هـ)

وقال عبدالأحد في رسالة أخرى أيضاً:

(أما بعد فقد وصل إلينا كتابكم الكريم المشتمل على بشائر .. وطبع النصف الأول من «المنهاج»(١) و«التبيان في أقسام القرآن» لابن القيم وإرسالكم «مدارج السالكين شرح منازل السائرين» للطبع..

وأما ما تفضلتم به علينا أن أمرتمونا بنقل «العقود الدرية» فقد شرعت باستنساخه بيدي .. والكتاب المذكور نحو «هداية الحيارى» حجماً بل أكبر منه .. وهو كتاب عجيب فيه فوائد جمّة وأبحاث مهمة ومناظرات مفيدة ..

وأريد أن أرسل إليكم أيضاً «القول الجلي في ترجمة الشيخ ابن تيمية الحنبلي»، إن لم تكن نسخته عندكم، ليطبع على هامش «العقود الدرية» ولكن نسخته الآن في راول بندي..

كتب في سنة (١٣٢٢هـ)

وقال عبدالأحد في رسالة أخرى أيضاً:

(وإلى الآن ما عثرنا على كتاب من كتب الشيخين غير إني سمعت أن

---

(١) أي منهاج السنة النبوية.

«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» للحافظ ابن القيم منه نسخة في آمرتسر، لدى الشيخ عبدالجبار، فإن لم تكن عندكم ولا في العراق، فأخبروني لاستعيرها من الشيخ واستكتبها..).

كتب سنة (١٣٢٢هـ)

كتاب من ارنبورغ من بلاد القرم في مملكة الروس من الفقير: ضياء الدين بن فخر الدين إلى الأستاذ الأكرم.

(.. أما بعد: فقد كنت اشتغلت بكتاب ذكرت فيه مشاهير الرجال، وقد طبع منه أربع مجلدات .. وفي هذه الأيام طبع المجلد الخامس وكلّه في ذكر أبي العباس ابن تيمية، أجل مشائخ الإسلام فقدمت من هذا الجزء نسخة لذلك البدر الأنور، وهي هدية لذلك الجناب لا تذكر.

وقد بينت فيه نسبه ووطنه ونشأته وشهرته وولادته ووفاته وقومه ومن ظهر منهم من مشاهير الرجال، وعلمه وفضيلته وذكاءه وقوة حافظته ومن أخذ منه ومن أخذ عنه، وما قيل فيه من المراثي وتصانيفه واختياراته ومخالفيه وطعنهم وانتقادهم، ومن ذبَّ عنه وأثنى عليه وما يراه علماء الروس فيه، ومحنته وغير ذلك مما يروق في نظر الأستاذ، حيث كان الاستمداد من كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني» وغيره، فأرجو من حضرته أن يغض الطرف عما فيه من القصور..).

الفقير لله تعالى رضاء الدين بن فخر الدين

صاحب مجلة حيرة في أورنبورغ

عفى عنه ١٣٢٩هـ

كتاب من الفاضل الشيخ محمد بن حسن المرزوني المصنف الشهير في قطر وعمان .. (..وذكرت لكم أنَّ عندي نسخة من تلخيص شمس الدين

الذهبي لمنهاج السنة في الرد على ابن المطهر الحلّي، وذكر لي علي بن سليمان بن يوسف: أنَّ عندكم منه نسخة وفي نسختي نقصان نحو كراسة بحجم الثمن، ورسائلكم ترسل إلى مقبل بن عبدالعزيز الذكير)

كتبت سنة ١٣٢٩هـ

كتاب من عبدالأحد الخانفوري:

(.. كما أحسنتم إلينا في إرسالكم الكتب التي لا توجد في الهند أصلاً، لا سيما كتاب «طريق الهجرتين» فإنّه عجيب ومفيد جداً لم نر مثله، إلا أنَّ فيه خرماً وسقطاً في بعض المواضع، وأما كتاب «إغاثة اللهفان» فهو أيضاً كتاب عظيم النفع، وفيه أيضاً سقط وخرم .. وكتاب «العقل والنقل» إن لم تظفروا بنسخة أخرى تنقلون منها ما في نسختكم من النقصان فله أسوة بهذين الكتابين .. وذكر ابن القيم في كتاب طريق الهجرتين كتاب «العقل والنقل» في موضعين ..)

كتبت سنة ١٣٢١هـ.

وقال عبدالأحد أيضاً

(..وأيضا اكتبوا لنا إلى متى يتم طبع «المنهاج» بتمامه فنحن بمزيد الأشواق إليه؛ لأن الروافض في الهند كثيرون ودائماً يردون على أهل السنة .. وأما ما ذكرتم عن أخباركم بكتب الشيخين في الهند، فنحن نخبركم بما علمناه ورأيناه منها:

أما المطبوعة فهي كتاب «الإيمان»، وكتاب «شرح حديث النزول»، و«الفتوى الحموية» وبعض الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه.

و«زاد المعاد» المعروف بالهدي النبوي، و«إعلام الموقعين» وكتاب

«الصلاة» لابن القيم وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» على هامش «الدين الخالص» لصديق حسن، و«جلاء الإفهام في الصلاة على خير الأنام»، وكتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرق المعطلة والجهمية»، وكتاب «الروح»..

وأما الكتب الغير المطبوعة فهي هذه: كتاب «منهاج السنة» في لكنه في خزانة الشيخ عبدالحي. وفي عظيم آباد عند المولوي رفيع الدين. وكتاب «العقل» في أمرتسر عند المولوي عبدالجبار الصاحب الغزنوي. وكتاب «شرح منازل السائرين» لابن القيم رحمه الله عنه.

و«الهدي النبوي»، و«إعلام الموقعين»، و«جلاء الإفهام»، وغيرها من الرسائل والفتاوى في آمرتسر عند الشيخ عبدالجبار الغزنوي..

وأما خزانة كتب بهوبال فلم تبق على حالها، بل خربت لأن ابني السيد صديق حسن ليسا من أهل السنة والحديث كان بينهما.. وعندنا كتاب للشيخ الحافظ محمد بن عبدالهادي صاحب «الصارم المنكي» ألفه في مناقب شيخ الإسلام سماه «العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» في مجلد واحد..

وإن تفضلتم علينا بالنبذة من شرحكم على النونية[١] لنستنسخها ونعيدها إليكم في البريد..) وأما كتاب «شفاء العليل في القدر»، فقد رأينا فهرسه، ونحن إليه بمزيد الأشواق.. وأما كتاب «الطرق الحكمية»..

وقد صنفه ابن القيم بعد «الهدي النبوي»؛ لأنه وعد فيه أن سيولفه وقد

---

(١) حصلت على مخطوطة نادرة من دار صدام لعلامة العراق في «شرح أبيات الجنة» من النونية وحققتها، يسر الله نشرها.

وفّى بذلك الوعد وأنجزه..).

رسائل محمد نصيف وكيل الإمارة الجليلة في جدة

(وقبل تاريخ هذا الكتاب وصل إليَّ رسالة من الحاج مقبل الذكير طلب فيها أن نرسل إلى فرج الله الكردي «الرد على ابن سبعين» و«التسعينية في الرد على الكلام النفسي»، وغير ذلك من الكتب التي ستطبع مع كتاب «العرش»، وجملة كتب وقصدنا طبعها غير أنّا نتحرى نسخة أخرى من كتاب العرش والسبعينية والتسعينية ونسخة من «مدارج السالكين شرح منازل السائرين».. وفي هذه الأيام طبعنا «قاعدة التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية .. وهذا الكتاب أرسله إلينا من دمشق الشيخ جمال الدين القاسمي).

من عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح:

(وقد أرسلت إليكم بحثاً مفصّلاً في صوم يوم الغيم من «شرح العمدة» لشيخ الإسلام، ظفرت به عند الشيخ محمد بن شبل من أهالي عنيزة وأفاضلها الأعلام وقد أكثرت السؤال عن هذا الشرح في ديار نجد والحجاز فلم أجد أحد أفادني عنه..).

كتبت سنة ١٣٢٩هـ

كتاب من أحد علماء حائل بلد ابن رشيد

(..ثم إن ما أشرتم إليهم من الوصية عن كتب الشيخين ابن تيمية وابن قيم الجوزية من حرصكم على نشر العلوم المفيدة .. وقد وجدنا من الكتب التي سألت عنها كتاب «العقود البهية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» وهو عند عبدالله بن مرعي..)

كتبت في سنة ١٣٢٧هـ

كتاب من عبدالله بن أحمد الروّاق النجدي:

(.. وقد أفدتم فيه إنكم بذلتم الجهد في الجمع ما لشيخ الإسلام تقي الدين من التفسير على بعض السور والآيات في مجموع مفرد، ثم تسعى في طبعه، وإنكم كاتبتم في ذلك بعض علماء نجد ودمشق الشام والهند ومصر ليمدوك بما عندهم من التفسير ولم يجيبوك..

كتاب من فوزان السابق:

(..وأما نواقص «شفاء العليل» فالشيخ فرج الله مهتم بتكميله، ونحن الآن نبحث عن نسخة كاملة غير التي في خزانة الخديوي، عسى المولى أن ييسر ذلك).

وقال أيضاً:

(..غير أن صاحب المنار السيد رشيد رضا أخبرني أن الشيخ مقبل الذكير البحراني أرسل إليه التسعينية..)

كتاب من محمد بهجت البيطار:

(في خزانة كتب الملك الظاهر وقد قلّبت منه مجلدات، انقّب فيها على ما لشيخ الإسلام من الجاميع ..، وقد نظرت إلى الآن في أربعة وعشرين مجلداً[١].. ولما أعثر على تفسير سورة الفرقان، ولم أجد تفسير سورة تامة على شكل المجموع إلا تفسير شيخ الإسلام لسورة الإخلاص المطبوع..

وقد يفسر (أي ابن عروة الحنبلي) معنى الآية ثم يذكر تفسير الآية لشيخ الإسلام .. وأول هذه الآيات التي وقفت عليها من سورة البقرة، وآخرها من

---

(١) أي من الكواكب الدراري.

سورة العنكبوت. وقد عثرت فيه على مقالة لشيخ الإسلام في «التوبة» تبلغ اثني عشرة ورقة. ورسالة في «الرد على الاتحادية» تبلغ مقدار سبع وعشرين ورقة، وسؤال وارد على شيخ الإسلام في بعض أقوال المتصوفة، وجواب الشيخ في بيان كتاب «فصوص الحكم» وهو يبلغ اثنى عشرة ورقة، وكلام في «مسألة الحرف والصوت» يبلغ عشر ورقات، وسؤال آخر أجاب عنه الشيخ في مسألة الحرف والصوت يبلغ ثلاثاً وخمسين ورقة، وقطعة كبيرة في كلام الشيخ في «أحكام الجن» عند قوله تعالى: .. وقطعة كبيرة في تفسير آية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴿٧٩﴾﴾ [النساء:٧٩] وقطعة كبيرة في «نقض كلام الرازي» وفيه نقول كثيرة من كلام ابن القيم رحمه الله، ففيه قطعة من «مفتاح دار السعادة»، ومن «أعلام الموقعين»، وقطعة من فضائل الذكر من «الكلم الطيب»، ومن «عدة الصابرين»، ومن «الصلاة»، ومن «زاد المعاد» وقطعة من «شرح منازل السائرين»..).

كتبت سنة ١٣٣٣هـ

هذه نماذج من هذه المراسلات والمكاتبات التي وردت إلى علامة العراق وجمعها في كتابه البديع «رياض الناظرين» وقد حوى هذا السفر معلومات عن كتب ومخطوطات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وكيف طبعت وحجم المعاناة التي تجشمها أهل العلم في العثور عليها، وجمع المتفرق منها والتواصي المستمر بين أهل العلم مع صعوبة المواصلات والاتصالات، والهمم العالية لأسلافنا من أهل العلم. وقد نشر الفاضل محمد بن ناصر العجمي «الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي»، في دار البشائر الإسلامية في سنة ١٤٢٢هـ

بين يدي كتاب أسرار الصلاة:

كتاب «أسرار الصلاة» من الكتب التي ظلّت حبيسة الخزائن في ثلاث من بلاد الإسلام والتي حوت مخطوطات لهذين العَلَمين؛ وهي مصر والعراق والمملكة العربية السعودية.

والكتاب لم ينشر سابقاً بهذهِ الصورة أبداً ولا هو مستل من كتاب كبير.

وحقيقة هذه الرسالة هو أنّها جزء من كتاب «مسألة السماع» والذي نشر أيضاً بعنوان آخر -كما سيمر- ولكن هذا الجزء جاء ناقصاً عن المخطوطات، وفيه تقديم وتأخير، وفيه تحريف.

أما المخطوطات الثلاثة فهي متقاربة مع بعضها نوعاً ما، ولكن بعضها حوى نقصاً وزيادات عن الآخر، كما أنَّ الاعتماد على المخطوطات الثلاث لوحده لا يكفي، إذ أنَّ المطبوع يكمِّل ويصحح كثيراً من العبارات، وقد ترددت كثيراً في اعتبار هذه الرسالة رسالة مستقلة.

إلى أن شرعت بالعمل لإخراجها بشكلها النهائي.

فوجدت أن نشر هذه الرسالة بشكل مستقل وباسم مغاير هو عمل شرعي ومشروع؛ لأسباب كثيرة أذكر منها:

أ. أنّ هذه الرسالة بشكلها النهائي تختلف كثيراً عن الجزء المطبوع في كتاب «الكلام على مسألة السماع».

ب. أنها لا تشبه أي كتاب أو رسالة منشورة سابقاً، فقد استلت من كتب ابن القيم كثير من المؤلفات، منها ما استل قديماً، ومنها ما استله المعاصرون، وسأسرد ما ذكرته في مقدمة تحقيقي للوابل الصيب (ص١٤-١٦) من المؤلفات المستلة:

١. أمثال القرآن، مستل من أعلام الموقعين، وقد أفرد قديماً ووجدت له مخطوطات مستقلة، وطبع محققاً عليها أكثر مِنْ مرّة.

٢. بلوغ السؤل من أقضية الرسول، مستل من «أعلام الموقعين» واستله المعاصرون.

٣. تفسير سورة الفاتحة، مستل من «مدارج السالكين» وهو مستل قديماً[١].

٤. تفسير المعوذتين مستل من «بدائع الفوائد»، وقد استل قديماً ولكننا لم نجد مخطوطة مستقلة بهذا الاسم وإنما الذين ترجموا لابن القيم ذكروا ذلك في مؤلفاته المستقلة.

٥. الرسالة القبرية في الرد على منكري عذاب القبر من الزنادقة والقدرية مستل من كتاب «الروح»، وقد استل قديماً وله مخطوطات بهذا الاسم.

٦. الطب النبوي، مستل من «زاد المعاد»، وقد أفرد قديماً وله مخطوطات بهذا الاسم.

٧. «صفة الجنة» من «حادي الأرواح» مستل حديثاً.

٨. «ذم التقليد» من «أعلام الموقعين» مستل حديثاً.

٩. «شرح الشروط العمرية» من «أحكام أهل الذمة» مستل حديثاً.

١٠. «أحكام النظر» من «إغاثة اللهفان» مستل حديثاً.

١١. حكم الإسلام في الغناء من «إغاثة اللهفان» مستل حديثاً.

---

(١) كنت قد ذكرت في مقدمة «الوابل الصيب» أن المعاصرين هم مَنْ استله، ولكنّي وجدت من ترجم لابن القيم ذكر من مؤلفاته هذا الكتاب.

١٢. كتابه «التوبة» مستل من «مدارج السالكين» مستل حديثاً.

١٣. «خصائص الجمعة» من «زاد المعاد» مستل حديثاً.

١٤. «فصول في القياس» من «أعلام الموقعين» مستل حديثاً.

١٥. «معجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية» من «الطب النبوي» مستل حديثاً.

١٦. «مشاهد الخلق في المعصية» من «مدارج السالكين» استل قديماً.

١٧. «طبقات المكلفين» من «طريق الهجرتين» مستل حديثاً.

١٨. «إرشاد القرآن والسنّة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة». مستل من «بدائع الفوائد» مستل حديثاً.

وهناك رسائل كثيرة مُستلّة مِنَ الصعب حصرها، ولكنّي كتبت ما دونته سابقاً أثناء رحلتي ودراستي في البحث والتنقيب.

عودة إلى كتابنا «أسرار الصلاة» فهذا الكتاب لا يعتبر كتاباً مستلاً فهو لا يشبه أبداً المستلات السابقة سواء ما استل حديثاً أو قديماً، بل هو كتاب مستقل بذاته.

ج. كتاب «الكلام على مسألة السماع» ألفه ابن القيم على مراحل فهو مكون من قسمين أو جزئين كما في مقدمة الكتاب (ص٧٣) لمحققه راشد بن عبدالعزيز الحمد.

الجزء الأول من فصلين: الفصل الأول بيان حكم الغناء في الشريعة .

الفصل الثاني: أن تعاطي السماع على وجه اللعب والخلاعة وعلى وجه للقربة والطاعة.

وختم هذا الفصل بالموازنة بين ذوق الصلاة وذوق الغناء.

الجزء الثاني: واشتمل على ذكر شبه المغنين ودحضها.

ويبدو لي أنّ ابن القيم أجاب عن هذهِ الفتيا في سنة (٧٤٠هـ) ثم بعد فترة أضاف لها الجزء الثاني ودليل ذلك قول ابن القيم في بداية الجزء الثاني (ص٢٣٣): قال الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الحنبلي إمام الجوزية في تمام الجواب عن الفتيا الواردة في السماع سنة أربعين وسبعمائة التي أجاب فيها العلماء على المذاهب الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

أي أنَّ ابن القيم ألف كتابه على مرحلتين.

ورسالتنا هذه مستلة من نهاية الجزء الأول وفصله الأخير.

بقي هناك سؤالاً لماذا كل هذه الاختلافات في النسخ بين المطبوع والمخطوط، وبين نفس المخطوط؟

وأقرب جواب وقع لي هو: أن ابن القيم نفسه استل هذهِ الرسالة ثم نقحها أكثر من مرّة.

ومع وقوع السقط والتحريف من النساخ، وكثرة النسخ المنقحة والمصححة من ابن القيم نفسه.

جعل هذا الاختلاف الكبير بين النسخ.

فهي إذن رسالة استلها ابن القيّم نفسه ونقحها وأعاد النظر فيها عدّة مرات وأضاف وحذف وقدّم وأخر. وأصبحت على شكلها الحالي. هذه الأسباب الثلاثة هي التي دفعتني لنشر هذه الرسالة بشكل مستقل.

تسمية الرسالة:

الرسالة مستلة من كتاب السماع، ولم أجد ما يشير إلى تسمية الرسالة في مسرد مؤلفاته ضمن من ترجم لهذا الإمام.

وهذه المستلات كانت الحرية في تسميتها إما للمستل نفسه، أو أنَّ موضوع الرسالة هو المؤثر على تسميتها.

ولم أجد على بداية المخطوطات اسم لها سوى التالي:

أما في النسخة السعودية فكتب في بدايته:

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم قال الإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي

رحمه الله تعالى، فصل في الفرق بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان

أما في النسخة العراقية فكتب في غلافها:

كتاب أسرار الصلاة لابن القيم

رحمه الله و رضي الله عنه

أما في الصفحة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه فصل يتعلق بأسرار الصلاة لابن القيم رحمه الله و رضي الله عنه

آمين. فصل في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان أن أحد.

أما في النسخة المصرية فقد كتب التالي:

كتاب فيه فصول [كلام مطموس].

وذوقها للشيخ الإمام العالم [كلام مطموس].

الورع الزاهد العارف بالله تعالى [كلام مطموس] الجوزية.

وغير ذلك مما يتعلق بذوق القلوب للأعمال الصالحة وأن الأعمال إنما تتفاضل بما يكون في القلوب لا بالكثرة والعدد.

وكتب يمين الصفحة:

عنوان التصنيف: كتاب في ذوق السماع.

وفي الصفحة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان أحد الذوقين

هذا ما رأيته على المخطوطات أما في المطبوعة فكتب:

فصل في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة.

أما موضوع الرسالة الذي يدلنا على اسمها فقد وجدت التالي:

١. في (ص٦٧) (وكان سر الصلاة ولبها إقبال..)

٢. في ص(٩٣): (ليعلم العبد أن سرّ الصلاة هو تعظيم الرب).

٣. في ص(١١٥): (وسر الصلاة وروحها ولبها).

٤. في ص(٩٢): (ولولا أن المقصود المضادة والمنافرة بين ذوق الصلاة وذوق السماع لبسطت هذا الموضوع بسطاً شافياً).

٥. في ص(١٢٧): (فهذه إشارة ونبذة يسيرة في ذوق الصلاة وسر من أسرارها).

٦. موضوع الرسالة من أوله إلى ص(١٢٧) هو الكلام عن أسرار الصلاة وذوقها، ويبدأ يوازن في آخر الكتاب من قوله فصل: فنحن نناشد أهل السماع بالله.

أي أكثر من ثلثين الكتاب هو سرد لأسرار الصلاة ثم في آخر الكتاب نبدأ عملية الموازنة بيان الفرق لذا جمعت بين الاسمين وسميته.

أسرار الصلاة

والموازنة والفرق بين ذوق الصلاة والسماع

صحة نسبة الكتاب لابن القيّم:

كما ذكرنا سابقاً فإنّ هذا الكتاب في حكم المستل من «الكلام على مسألة السماع» أو كما سماه المحقق ربيع أحمد خلف، «كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء».

وقد برهن محقق «الكلام على مسألة السماع» راشد بن عبدالعزيز الحمد في (ص٧١-٧٢) صحة نسبة الكتاب لابن القيم ومن بين أدلته ما هو موجود في رسالتنا مثل:

١. إحالته إلى كتاب «مدارج السالكين» وقد سمّاه «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

وكذا إحالته إلى كتاب «زاد المعاد» فقال: (..كما يطيل الركوع والسجود ويكثر فيه من الثناء والحمد والتمجيد كما ذكرناه في هديه ﷺ).

٢.نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣. أسلوبه في الكتاب هو أسلوبه في بقية مؤلفاته.

هذا ما ذكره راشد الحمد

٤. وأضيف إلى ذلك أن عبارات كاملة استخدمها ابن القيم في هذه الرسالة، هي نفسها أو قريباً منها في بقية مؤلفاته نذكر منها:

أ. ص(٦٩) هذان الأثران استعملها ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية

وقد أشير إلى ذلك في الهامش.

ب. ص(٨٨) قوله: (ثم ليتأمل العبد ضرورته وفاقته) هذه العبارة استخدمها ابن القيم في نفس هذا الموضع أكثر من ثلاث مرات في مؤلفاته مرّة في «بدائع الفوائد» وفي «المدارج» وفي كتاب «الصلاة» ورسالته الصغيرة البديعة «كتاب أرسله الحافظ ابن القيّم إلى بعض إخوانه».

جـ. في ص(٩٦) قوله: (..كما يطيل الركوع والسجود..) هذا ذكره في «حاشيته على مختصر أبي داود»، وفي كتاب «الصلاة وحكم تاركها».

هـ. في ص(٩٧-٩٨): (كما قيل لبعض السلف: هل يسجد القلب؟) ذكره في «طريق الهجرتين» و«المدارج» و«الروح».

و. في ص(١٠٣): (..فكان تكريرها بمنزلة تكرر..إلخ). قريباً منه ذكره في «شفاء العليل» (ص٢٢٩).

ز. في ص(١٠٥-١٠٨): موضوع التحيات، قريباً جداً ذكره في «بدائع الفوائد» (٢/ ٤١٥) وفي «الصلاة» (٢١٣ص).

ح. في ص(١١٥): قوله (فهذه خمس سنن في إجابة الدعاء).

هذا ذكره في «الوابل الصيب» و«جلاء الأفهام» كما في الهامش.

ط. قوله في ص(١٢٢-١٢٤) في شرح حديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» و«ارحنا بها يا بلال» فقد تكلّم على ذلك في «الوابل الصيب»، ورسالته «كتاب أرسله الحافظ ابن القيّم إلى بعض إخوانه».

ي. ذكره في ص(١٣١): لبيت الشعر.

أنت القتيل بكل من إلخ.

فقد ذكره في «حاشيته على مختصر أبي داود»، و«إغاثة اللهفان» و«بدائع الفوائد»، و«روضة المحبين» كما في الهامش.

ك. ذكره في ص(١٣٢) لبيت الشعر

إذا مرضنا تداوينا..، فقد ذكر في «الوابل» و«المدارج» كما في الهامش.

ذكره «الوابل الصيب» و«في المدارج» كما في الهامش.

ل. ذكره في ص(١٣٥) بيت شعر للمتنبي (ما لجرح بميت إيلام) الذي أصبح مثلاً، فقد ذكره مراراً في مؤلفاته كما في «الوابل» و«المدارج».

متى ألف ابن القيّم هذه الرسالة؟

لا نستطيع بالضبط تحديد سنة تأليف ابن القيّم لهذه الرسالة، وكما سبق ذكره، أنّ جواب الاستفتاء كان في سنة (٧٤٠هـ) وحَسبَ احتمالنا الذي ذكرناه سالفاً مِنْ أنَّ ابن القيّم استلّ هذه الرسالة مِنْ جوابه على مسألة السماع ثم حَذَفَ وأضاف وقدّم وأخّر. فيكون تأليفه لرسالتنا بعد (٧٤٠هـ).

ويبقى احتمال آخر -وهو عندي ضعيف جداً- أنَّ ابن القيّم ألّف هذه الرسالة قبل كتاب «الكلام على مسألة السماع» ثم أضافها لجوابه عن هذه المسألة مع الحذف والتقديم والتأخير. وفي هذه الحالة يكون تأليفه الرسالة بعد سنة (٧٢٨هـ) وهي سنة وفاة شيخ الإسلام؛ ذلك أنّه ذكر في رسالتنا: (وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونوّر ضريحه يوماً..) أي هو يتكلم في رسالتنا بعد وفاة الشيخ.

وأنا أقول دائماً إنّ الإمام ابن القيم لم يؤلف شيئاً قبل وفاة شيخه، وإنّما كلّ أو جُلّ مؤلفاته بعد وفاة شيخه، أو إنه ألّف كتبه ولكن لم تظهر مؤلفاته إلا بعد وفاة شيخه، وهذه المسألة تحتاج إلى دراسة بشكل دقيق لإثبات هذا الأمر، والله أعلم.

عملي في الكتاب:

هذه الرسالة على صغرها كلّفتني وقتاً وجهداً ليس بالقليل، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الاختلافات بين النسخ المخطوطة والمطبوع، فلقد اضطررت لوضع أكثر من (٧٠٠) هامش لبيان الاختلافات، مع أني تجاوزت كثيراً من الاختلافات مثل (تعالى) أو (عز وجل) بعد لفظة الجلالة، أو الترضية والترحم وبعض الضمائر البسيطة، وحروف العطف (الواو) و(أو) كل ذلك تجنبته حتى لا أثقل الهامش بما لا طائل له ولا نفع به لقارئ الرسالة.

ورغم ذلك فقد وقعت مما فررت منه، فالرسالة مثقلة بالهوامش مما جعلني أتحرج كثيراً من نشرها بهذا الشكل، وحاولت جهدي الاجتهاد في التقليل منها، وما وصلت إليه هو الحد الأدنى حسب اجتهادي.

وسبب ذلك كثرة الاختلافات بين النسخ وصعوبة الترجيح، وإنّ أي إهمال لمعنى أو فرق أو زيادة أو نقص هو مُخل لمنهج التحقيق العلمي، فقد يكون ما يثبته المحقق في الهامش أصوب مما وضع في الأصل.

أو قد يتعذر الترجيح.

وهناك عبارات كاملة مختلفة بين النسخ، اضطررت لوضعها كاملة في الهامش.

وحاولت التقليل جهدي من وضع الأقواس، حتى لا يثقل النص بالأقواس مما يؤثر على استرسال القارئ في قراءة النص.

وهذا ما وصل اجتهادي إليه في إثبات النص، فإن أصبت فمن الله وحده فهو صاحب المنَة والفضل في ذلك، وإن اخطأت فمني ومن الشيطان.

- خرجت الأحاديث حسب المنهج التالي:

أ. ما كان في الصحيحين أو أحدهما فهو حسبي وهو منهجي دائماً في التحقيق.

ب. ما كان في غيرهما فقد استطردت في تخريجه من بقية المصادر مبتدأ بالكتب الستة ثم مسند أحمد وبقية الكتب. ثم حكمت على الحديث صحّة وضعفاً وحسناً ولم أقلّد عالماً بعينه وحكمت بما وصل إليه اجتهادي.

- الآثار وأقوال السلف فأحلت إلى ما فتح الله عليّ من المصادر ولم أحكم عليها فإنَّ هذا أمرٌ غير ذي جدوى؛ فإنها ليست أدلة شرعية، وإنما يذكرها أهل العلم اعتضاداً واستئناساً.
- عزوت الأشعار إلى قائليها ما أمكنني.
- علّقت على ما تمس الحاجة إليه، كبيان بعض الكلمات الغريبة، وبعض الإحالات على كتب ابن القيّم.
- وضعت عناوين جانبية.
- قمت بعمل فهرس موضوعي (هي العناوين الجانبية)، وفهرس الآيات والأحاديث والآثار والأشعار.
- كما قمت بعمل بعض الملاحق وهي لحديثين خرجتهما بصورة مفصلة متتبعاً لطرقهما وأقوال أهل العلم، وقد رأيت من الضروري تخريجهما لبيان حالهما، فقد اشتهر عند كثير من المعاصرين صحتهما مطلقاً، وأنا على غير ذلك، فرأيت بيان ذلك، ورأيت أنَّ من المناسب تخريجهما مختصراً في الهامش والإحالة إلى الملحق لمن أراد التفصيل، فإني أعلم أنَّ

كثيراً من القراء يزعجه كثرة الاستطرادات في التخريج والتعليق.

• كما وضعت في الملاحق بعض الاستطرادات المهمة من بقية كتب ابن القيم مما أشار لها في النص. ورأيت الابتعاد عن إثقال الهامش بنص طويل.

• لم أعمل ترجمة لابن القيم فشهرته تغني عن ترجمته، ولكني وضعت مؤلفات ابن القيم المطبوعة والمنسوبة والمخطوطة.

الأصول المعتمدة في تحقيق الكتاب:

اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على ثلاث نسخ خطيّة. والنسخة المطبوعة في مسألة السماع.

وسأبدأ بوصف النسخة المطبوعة:

١. نشر كتاب «الكلام على مسألة السَّماع» سنة (١٤٠٩هـ) في دار العاصمة في الرياض بتحقيق ودراسة راشد بن عبدالعزيز الحمد معتمداً في تحقيقه على نسخة وحيدة من مكتبة أسكوريال باسبانيا ومصورتها في مكتبة المخطوطات في الجامعة الإسلامية.

واحتلت رسالتنا من الكتاب من (ص١٨٥) إلى (ص٢١٨) والتكملة من (ص١٧٨) إلى (ص١٨٥)، أي يوجد تقديم وتأخير في الرسالة مع وجود نقص.

والنشرة الثانية للكتاب كانت في مصر في مكتبة السنة بالقاهرة سنة (١٤١١هـ)، والمحقق ربيع بن أحمد خلف، وقد غير اسم الكتاب إلى «كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء» ورغم أن المحقق لم يعتمد على نسخة مخطوطة جديدة بل اعتمد على نشرة دار العاصمة؛ لكنه صحح كثير من اجتهادات الأخ المحقق راشد الحمد، والأمر الثاني والمهم هو إنّه اعتمد على ما نشرته

دار الصحابة للتراث بطنطا بمصر سنة (١٤٠٩هـ) بعنوان «الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن» معتمداً على النسخة المصرية لرسالتنا سيمر وصفها في تصحيح جزء من الكتاب من (ص١١٣) إلى (ص١٤٢)، وفاته إنّ في الرسالة تقديم وتأخير لذا فلم يقابل الجزء من رسالتنا من (ص١٠٧) إلى (ص١١٣) وفاته بعض الاختلافات بين النسختين، لكن تقديره للأصوب كان دقيقاً فجزاه الله خيراً.

وقد رمزت له بالرمز (ط).

٢. النسخ المخطوطة الثلاثة:

النسخة المصرية:

وهي التي اعتمد عليها الأخ الفاضل مجدي فتحي السيد، وكان له الفضل في نشر الرسالة لأول مرّة.

والنسخة من دار الكتب المصرية، رقمها (٣٦٨) ورقم مصورتها (٢٦٥٣٨)، تحت رمز (تصوف تيمور).

خطها واضح مقروء، وهي في (٣٢ صفحة)، مسطرتها (١٧) سطراً، وقطعها وسط كتبت المكتبة عنوان المصنف: كتاب في ذوق السماع.

وكتب عنوانها كالتالي:

كتاب فيه فصول يتعلق..[١].

وذوقها للشيخ الإمام العالم..[٢]

(١) هذا ليس سقط ولا بياض بل طمس كما في صورة المخطوط وأقدره بـ(أسرار الصلاة) فإني لمحت كلمة (باسر) من بين الطمس.

(٢) طمس.

الورع الزاهد العارف بالله تعالى..[١] الجوزية

وغير ذلك مما يتعلق بذوق القلوب للأعمال الصالحة وإن

الأعمال إنما تتفاضل في القلوب لا بالكثرة والعدد.

ولم يتبين لي سنة كتابة المخطوط.

والمخطوط حوى على بعض الأماكن المطموسة وبياضات كما إنّه ناقص في آخره. وقد رمزت له بالرمز (م).

والأخ مجدي حفظه الله فاته قراءة بعض الكلمات بشكلها الصحيح، وقدّرها بشكل لم يوفق فيه، وإلا فجهده طيب في إخراج الكتاب جزاه الله خيراً، ولولا أن لي نسخ أخرى لما وفقت لقراءة المخطوط بشكله الذي أخرجته به.

ويبدو أن بعض الأخطاء مردها للطباعة فبالرجوع للمخطوط وجدناه يخالف المطبوع وأخص بالذكر التنقيط، ومثاله:

(ص٣٩) (ضريح) العبودية والصحيح (صريح) بالصاد.

(ص٤٠) (ولكن لم يخلف) والصحيح (لم يخلق) بالقاف.

(ص٤١) (فالضال جائر عنها جائر لا يهتدي)، وبالصحيح (حائر) بالحاء أو الأولى (حائد) بالدال، والثانية (حائر) بالراء.

(ص٤١) (وحصوله وطابقاً) والصحيح (وطابعاً) بالعين.

(ص٤٤) (وعضوية) والصحيح (وعضدية) بالدال.

(١) طمس.

(ص٤٥) (جنان القلب) والصحيح (خبات) القلب.

(ص٤٦) (والغريم عاطل مخادع) والصحيح (والغريم مماطل).

(ص٤٨) (قال: طيبات) والصحيح (فالطيبات).

النسخة السعودية:

وهي من المكتبة السعودية في الرياض، رقم (٨٦/٤٦)، تقع في (٣٠) صفحة، مسطرتها (٢٠-٢١) سطر، والنسخة مصححة، خطها مقروء وقد احتوت على بعض البياضات.

ليس في المخطوطة عنوان إلا ما كتب في بدايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن يا كريم قال الإمام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية رحمه الله تعالى. فصل

وقد رمزت لها بالرمز (س).

النسخة العراقية:

وهي من دار صدام للمخطوطات تحمل رقم (٦٣١)، تقع في (٢٦) صفحة عدا الغلاف، ومسطرتها (٢١) سطر، والنسخة مقابلة كما كتب في آخر صفحة (تم مقابلة على أصله)، وخطها واضح جداً وجميل وهي أكمل المخطوطات الثلاث، ولا توجد بها أي سقط أو بياض.

كتب على غلافه:

كتاب أسرار الصلاة لابن القيم رحمه الله ورضي الله عنه آمين

وفي الصفحة الأولى كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه فصل يتعلق بأسرار الصلاة لابن القيم رحمه الله ورضي الله عنه

آمين فصل..

ورمزت لها بالرمز (ع).

وهي أكمل نسخة.

أما عملي في المخطوطات

فلم يتبين لي النسخة الأصل، بل عمدت إلى النسخ المخطوطة الثلاثة مع المطبوع فقابلتها مع بعضها، وحاولت إثبات النص الأقرب والأشمل للمعنى، مجتهداً ما أمكنني إلى ذلك سبيلاً، لأضع العبارة الأصوب والأحسن، ولم أراعي ما اتفقت النسخ أو اختلفت، فقد لاحظت أنها قد تتفق على شيء والصواب مع النسخة الخطية التي انفردت. والسبب يعود إلى أن النسخ قد تُنقل من بعضها البعض وينتقل الخطأ.

ومن الملاحظات المهمة أن النسخ الخطية الثلاثة أقرب من المطبوعة في التوافق. مع أن كل النسخ احتوت على أشياء ليست في الأخرى وسبب ذلك أن النسخ الخطية الثلاثة هي عبارة عن الرسالة المستلة والتي شرع ابن القيّم نفسه بتنقيحها ولذا فهي تختلف عن الأصل. ولا أريد أن أقول أن هناك سقطاً. لأنّا لا ندري هل هذا سقط، أم هو مِنْ تصرف الناسخ أم هو الصواب لأنه من إضافات ابن القيّم؟

وقد تجنّبتُ إثقال النص بالأقواس، وحاولت وضع الأقواس في الهوامش، وإن اختلفت النصوص وضعت الخلافات في الهوامش.

ولم أرَ في حياتي مخطوطات مختلفة بهذه الاختلافات.

والسؤال هل استطعت أن أصل إلى النص الذي وضعه المؤلف (ابن القيم)؟.

والجواب: أني لم أستطع سوى ضبط نص يحمل معنى جامع حسبما رأيته واجتهدته ، فهل وافق ما وضعه ابن القيم؟ الله أعلم بذلك.

فهرس بمصنفات الإمام ابن قيم الجوزية :

إتماماً للفائدة ونشراً للعلم فقد كتبت فهرساً بمصنفات هذا الإمام ولم أكتب الذي ذكر في مَنْ ترجم للشيخ ولا نعلم عنه شيئاً. وكتبت ما كان مطبوعاً ومخطوطاً ولكنه منسوب للإمام ابن القيم.

ورمزت للمطبوع بحرف (ط) وهو ثابت النسبة لابن القيّم وما كان مخطوطاً وثابت النسبة فرمزته له بـ(خ) وما كان مطبوعاً أو مخطوطاً وثبت عدم نسبته رمزت له بـ(م) وما كان مطبوعاً أو مخطوطاً ولم نعرف نسبته من عدمها فرمزنا له (؟).

وقد ذكرت في مقدمة تحقيقي للوابل الصيب كثيراً من المؤلفات والمستلات. وزيادة للفائدة ذكرت مؤلفاته هنا وما تجدد لي من معلومة أضفتها، وعسى أن يوفقني ربي لنشر دراسة حول مؤلفات ابن القيم المطبوعة والمنسوبة وغير ذلك.

١. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، (ط).

٢. أحكام أهل الذمة (ط).

٣. أسرار الصلاة –وهو كتابنا هذا، وكنت قد سميته في مقدمة الوابل (سر الصلاة) والصواب (أسرار الصلاة)، (خ).

٤. أسماء مؤلفات ابن تيمية، منسوب لابن القيم وقد ثبت نسبته لتلميذ شيخ الإسلام ابن رشيّق، (م).

٥. أخبار النساء منسوب لابن القيم وإنما هو لابن الجوزي (م).

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين[١]، (ط).

٧. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، (ط).

٨. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، (ط).

٩. بدائع الفوائد، (ط).

١٠. التبيان في أقسام القرآن، (ط).

١١. تحفة المودود في أحكام المولود، (ط).

١٢. تهذيب مختصر سنن أبي داود، (ط).

١٣. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، (ط).

١٤. جواب في صيغ الحمد وهو نفسه نشر باسم «مطالع السعد بكشف مواقع الحمد»، (ط).

١٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (ط).

١٦. كتاب أرسله الحافظ ابن القيّم إلى بعض إخوانه، طبع باسم «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه»، (ط)، وهو تحت الطبع بتحقيقي في دار ابن حزم.

١٧. الرسالة التبوكية، (ط).

١٨. رفع اليدين في الصلاة، مخطوط عندي قيد التحقيق، (خ).

١٩. الروح، (ط).

٢٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (ط).

(١) هو (إعلام) أو (أعلام).

٢١.زاد المعاد في هدي خير العباد، (ط).

٢٢.الداء والدواء وهذا اسمه الصحيح ويسمى أيضاً «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، (ط).

٢٣.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ط).

٢٤.الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة، طبع ثلثه والبقية لا تزال مفقودة، (ط)، ولكن الكتاب عثر على مختصر له كاملاً وهو مطبوع.

٢٥.الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ويسمى أيضاً الفراسة، (ط).

٢٦.طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ط).

٢٧.طريقة البصائر إلى حديقة السرائر في نظم الكبائر نسب خطأ لابن القيم نتيجة خطأ مفهرس مكتبة الأوقاف ببغداد الدكتور عبدالله الجبوري، (م).

٢٨.رسالة في تفسير قوله تعالى: {ويرى الذين أوتوا العلم} وهو جزء من الصواعق المنزلة، ولكن مفهرس بمكتبة برلين كتب اسمه خطأ، (؟).

٢٩.شرح عمدة الأحكام ذكره الفاضل وليد الحسين في ترجمته للشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مجلة الحكمة الغراء، العدد الثاني وهو ضمن مخطوطات الشيخ السعدي، ولم يتبين لنا حقيقة هذا الكتاب رغم أنّ مَنْ ترجم لابن القيم ذكروا أنَّ له «تعليق على الأحكام» وذكره هو في جلاء الأفهام، (؟).

٣٠.دلائل النبوة، مخطوطة بالمكتبة المحمودية وعندما ذهبت للمكتبة لم أجدها، والذي ترجح عندي أنه خطأ من المفهرس إذ أنّ كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي وضع بعد كتاب زاد المعاد، فكتب المفهرس خطأ دلائل

النبوة لابن القيم، (؟).

٣١.أقسام الحيل ومراتبها هو في المكتبة السعودية في (٨٦) ورقة وقد رفضت المكتبة تصويره لنا ولعله جزء من أعلام الموقعين ولا يستطيع أحد الجزم بشيء حتى يطّلع عليه، (؟).

٣٢.الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ثبت أنه لابن النقيب قطعاً وسر نسبة هذا الكتاب لابن القيم هو التشابه في الأسماء فابن النقيب هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الدمشقي وابن القيم وهو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي.

وابن القيم توفي سنة ٧٥١هـ

وابن النقيب ٧٤٥هـ

فابن النقيب معاصر لابن القيم ومع تشابه الأسماء حدث هذا الخطأ.

والذين كتبوا حول نسبة كتاب الفوائد المشوق لم يذكروا هذه النقطة، (م).

٣٣. الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي، وهي ورقات في مكتبة عارف حكمت طبعت بتحقيق د.نايف بن قبلان بن ريف العتيبي ولا يمكن الجزم بنسبته لابن القيم ولا العكس (؟).

٣٤. الكلام على مسألة السماع وطبع أيضاً باسم «كشف الغطاء..» (ط).

٣٥. لامية ابن القيم، (ط).

٣٦. نونية ابن القيم وتسمى «الكافية الشافية»، (ط).

٣٧. مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ط).

٣٨. معاني الأدوات والحروف مخطوطة في تركيا وله صورة في جامعة الرياض وهو منسوب لابن القيم وإنما هو لمؤلف حنفي ولي بحث مستقل في عدم صحة هذا الكتاب لابن القيم، (م).

٣٩. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، والجديد الذي عرفته عن هذا الكتاب أنه جزء من الكتاب الذي ألفه ابن القيم وسماه «الطرابلسيات» والذي جزء منه «الطرق الحكمية»، (ط).

٤٠. مفتاح دار السعادة، (ط).

٤١. الفوائد، وأكرر ما ذكرته في «الوابل الصيب» أن لي شك بأربع أسطر منه، (ط). ولم أجد مخطوط له لأراجعه عليه.

٤٢. فوائد حديثية، (ط).

٤٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ط).

٤٤. المطالب السنية في قمع المراسم البدعية، وقد حقق الشيخ بكر أبو زيد أنه ألف بعد ابن القيم وأنه ليس له، (م).

والذي أريد إضافته أنّ هناك نسخة لهذا الكتاب في مكتبة أوقاف بغداد برقم (٢/ ٩٩٤٦-٩٩٥٠ مجاميع) في (١٨) ورقة وكتب عليه أن مؤلفه عثمان/ حافظ الكتب بمكتبة الشهيد علي باشا.

٤٥. روضة العاشق ونزهة الوامق مخطوط في دار صدام بالعراق تحت رقم (١٤٠٧١) وعندي نسخة منه، وثبت عندي قطعاً أنه ليس لابن القيم، (م).

٤٦. ورقات في تفسير سورة البينة من مكتبة الحرم المدني وهي ورقات وثبت نسبتها له وسأنشرها قريباً بإذن الله، (خ).

٤٧. الصلاة وحكم تاركها، (ط).

٤٨. الفروسية، (ط).

٤٩. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، (ط).

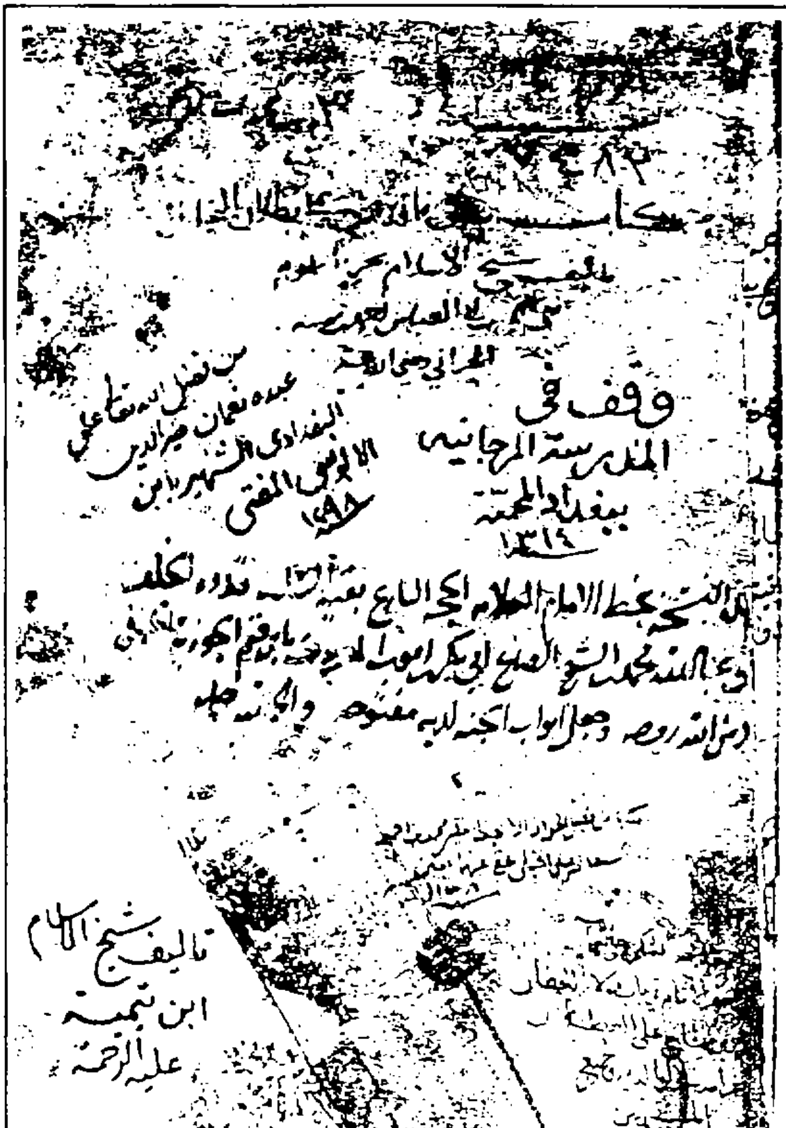
٥٠. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، أو المسمى الكلم الطيب والعمل الصالح، (ط).

وختاماً فإن في النيّة إصدار دراسة شاملة تكمّل ما بدأه الإمام الفاضل بكر ابن عبدالله أبو زيد حول مؤلفات ابن القيّم، ندرس فيها تسمية مؤلفاته، وما نسب إليه وغير ذلك والله الميسر.

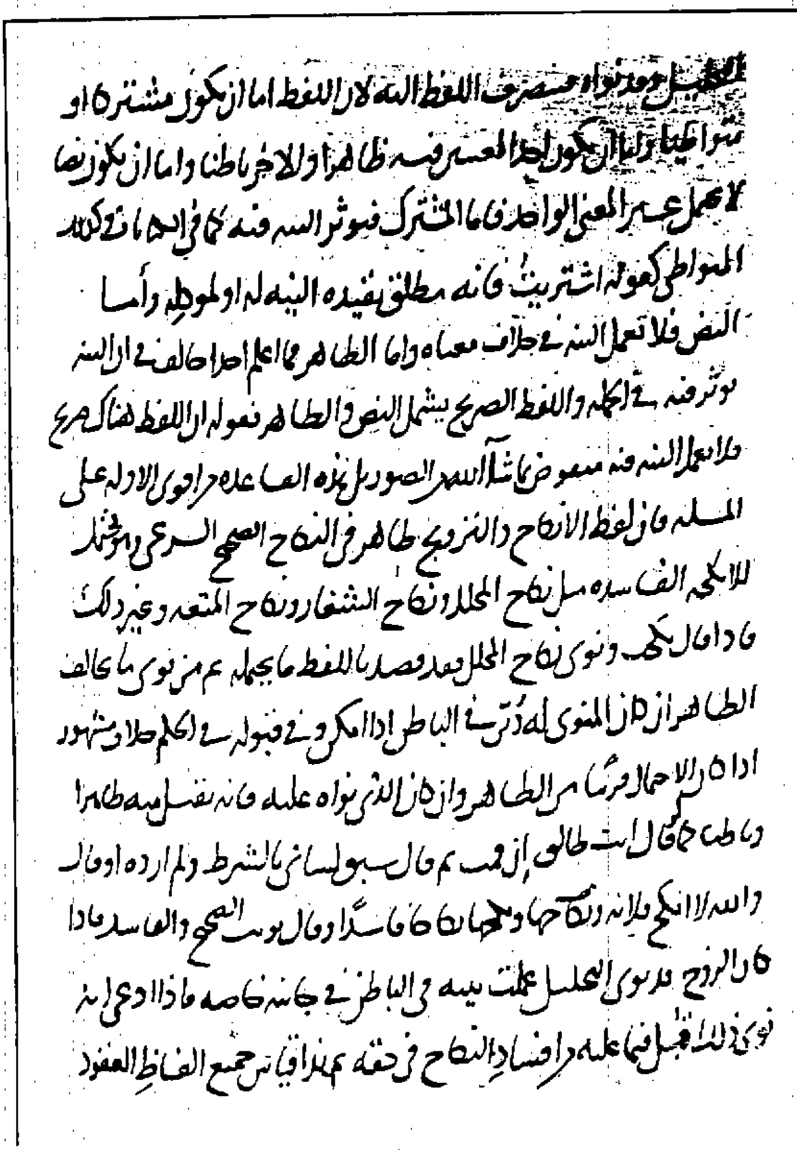
والله سبحانه وتعالى يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مؤمِناً من الكرّة الخاسرة، وينفع به مصنفه ومحققه والناظر فيه في الدنيا والآخرة إنه سميع عليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

(١) من مقدمة كتاب «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان».

صور المخطوطات

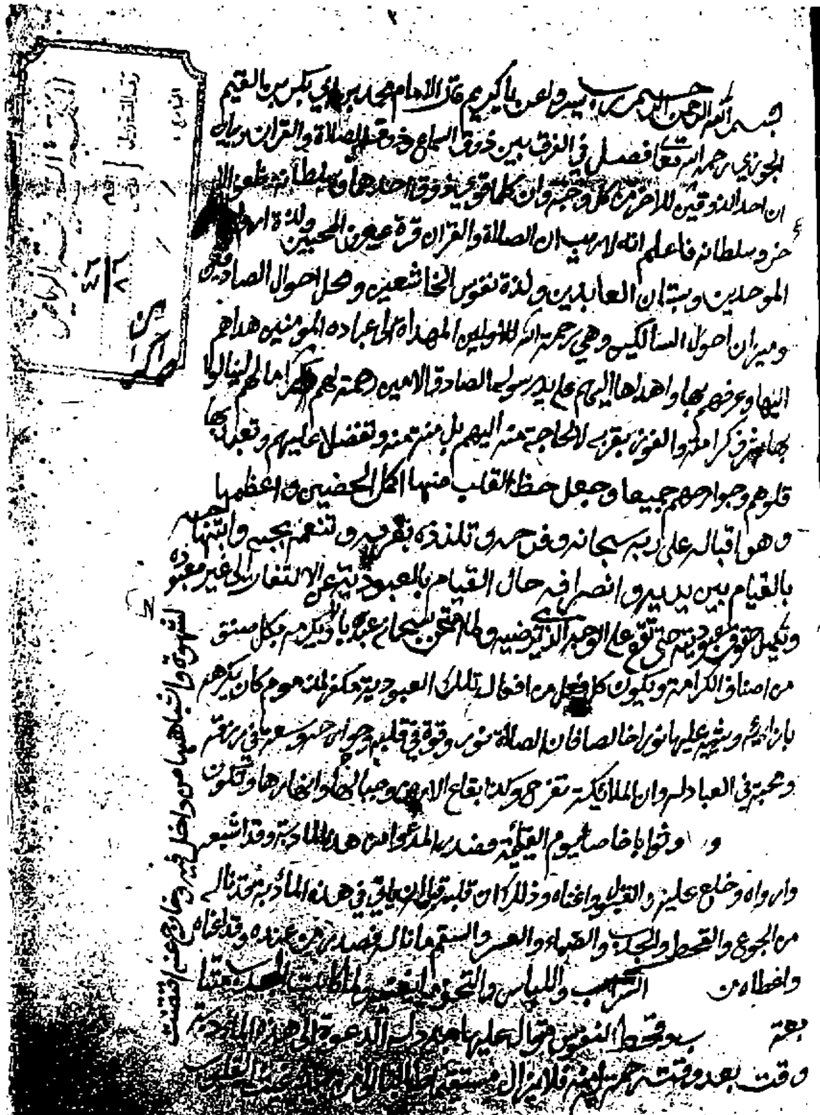

وقف في
المدرسة المرجانية
ببغداد المحمية
تأليف شيخ الإسلام
ابن تيمية
عليه الرحمة

طرة «بيان الدليل على إبطال التحليل» لابن تيمية، بخط ابن القيم.



التحليل وهو بعد نواه حصصت اللفظ النية لان اللفظ اما ان يكون مشتركا او
متواطئا وليا ان يكون احد المعنيين فيه ظاهرا والاخر باطنا واما ان يكون نصا
لا يحتمل غير المعنى الواحد فاما المشترك فيؤثر النية فيه كما في الكنايات وكذلك
المتواطئ كقوله اشتريت فانه مطلق يقيده النية له او لموكله واما
النص فلا تعمل النية في خلاف معناه واما الظاهر فما اعلم احدا خالف في ان النية
تؤثر فيه في الحكم واللفظ الصريح يشمل النص والظاهر فقوله ان اللفظ هنا صريح
فلا تعمل النية فيه منقوض بما شاء الله من الصور بل هذه الفائدة من اقوى الادلة على
المسالة فان لفظ الانكاح والتزويج ظاهر في النكاح الصحيح الشرعي ومحتمل
للانكحة الفاسدة مثل نكاح المحلل ونكاح الشغار ونكاح المتعة وغير ذلك
فاذا انكح ونوى نكاح المحلل فقد قصد باللفظ ما يحتمله ثم من نوى ما يخالف
الظاهر فان المنوي له دين في الباطن اذا امكن وفي قبوله في الحكم خلاف مشهور
اذا لم يكن الاحتمال مرجوحا من الظاهر وان كان الذي نواه عليه فانه يقبل منه ظاهرا
وباطنا كما قال انت طالق ان قمت ثم قال سبق لساني بالشرط ولم ارده او قال
والله لا انكح فلانة ونكحها وقال نكاحا فاسدا وقال نويت الصحيح والفاسد فاذا
كان الزوج قد نوى التحليل عملت نيته في الباطن في جانبه خاصة فاذا ادعى انه
نوى ذلك قبل فيما عليه من افساد النكاح في حقه وهذا ثابت في جميع الفاظ العقود

نموذج من خط ابن القيم في نسخة لكتاب «بيان الدليل على إبطال التحليل»
نسخة آل الألوسي الموقوفة على مدرسة مرجان ببغداد


بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم قال الإمام محمد بن أبي بكر بن القيم
الجوزية رحمه الله تعالى فصل في الفرق بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان
ان احد الذوقين للآخر من كل وجه وان كلا منهما ذوق وجد [illegible]
حزن وسلطانه فاعلم انه لا ريب ان الصلاة والقرآن قرة عين المحبين ولذة ارواح
الموحدين وبستان العابدين ولذة نفوس الخاشعين ومحك احوال الصادقين
وميزان احوال السالكين وهي رحمة الله المهداة الى عباده المؤمنين هداهم
اليها وعرفهم بها واهداها اليهم على يد رسوله الصادق الامين رحمة لهم [illegible]
بها [illegible] وكرامة والفوز بقربه لا لحاجة منه اليهم بل منة منه وتفضلا عليهم وتعبد بها
قلوبهم وجوارحهم جميعا وجعل حظ القلب منها اكمل الحظين واعظمهما
وهو اقباله على ربه سبحانه [illegible] تلذذه بقربه وتنعمه بحبه والتهابه
بالقيام بين يديه وانصرافه حال القيام بالعبودية عن الالتفات الى غير معبوده
وتكميل حقوق عبوديته حتى تقع على الوجه الذي يرضيه [illegible] عبده [illegible] بكل صنف
من اصناف الكرامة ويكون كل فعل من افعال تلك العبودية [illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة السعودية

٢٠

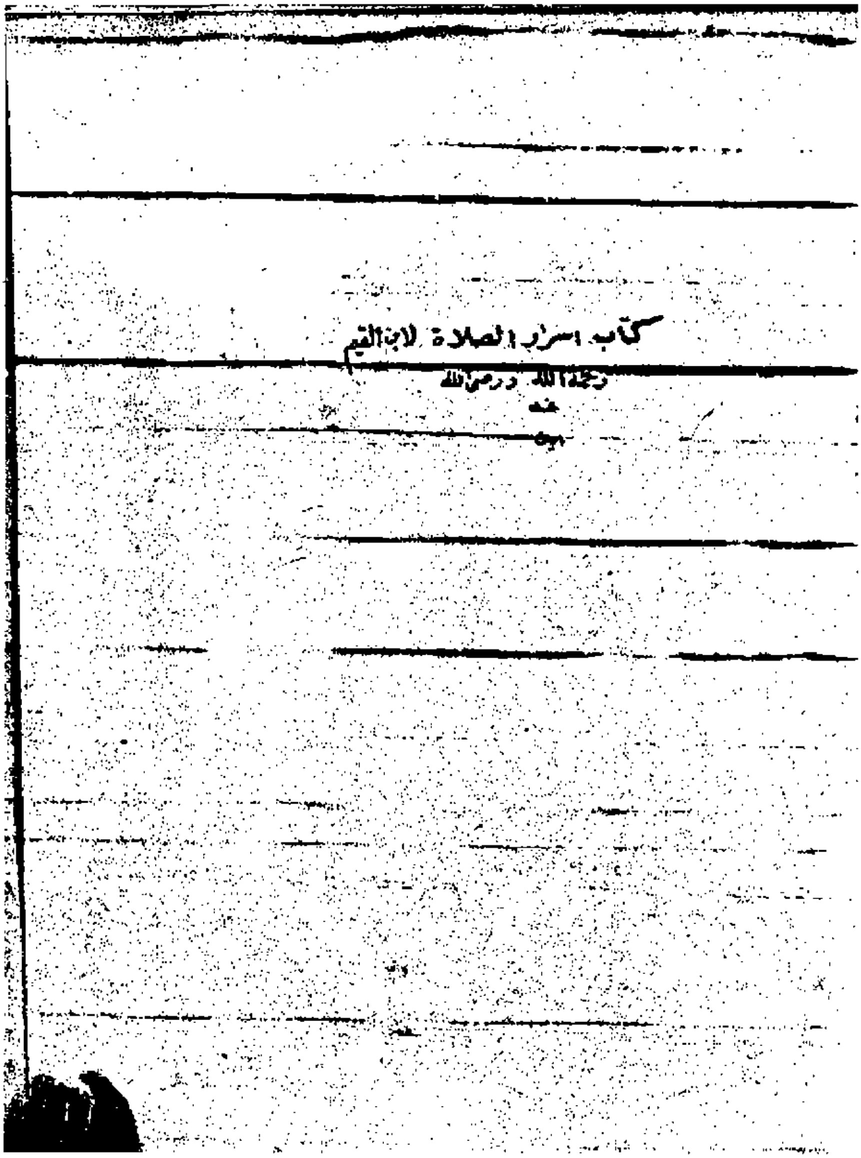
مقاصد الشرع في سد الذرائع المفضية إلى الحرام قطع بتحريم هذا السماع
فإن لمس الأجنبية وسماع صوتها حرام وكذلك الخلوة بها وهو محرمات
الشريعة إلى ما اشتمل عليه من المفسدة فمن نظر إلى صوت هذا المحرم
ولم ينظر إلى ما هو وسيلة إليه استشكل وجه تحريمه على آخرها
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

الفن الثالث من علم الخط علم يبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ من غير مراعاة حروفها
لفظًا وأصلًا والزيادة والنقص والوصل والفصل والبدل وألف فيه جماعة منهم أبو القاسم
الزجاجي واستوفيته في خاتمة جمع الجوامع مما لا مزيد عليه الأصل رسم اللفظ أي
كتابته بحروف هجائية الملفوظ بها مع تقدير الابتداء به والوقف عليه فخولف
بذلك [illegible] وحيث يجيء مرور [illegible] تكتب بالهاء وإن كان لفظ الأول [illegible]
منها والثالث بالتاء لأن الوقف عليها بخلاف ختام والهم وابنت وقامت يكتبان
بالتاء والقاضي بالياء وقاف بدونها مراعاة للوقف [illegible] اسم ونحوه وأما فيه همزة
الوصل بالهمزة وإن سقط في الدرج اعتبارًا بالابتداء ويكتب المدغم من كلمة كرحي
بلفظه أي بحرف واحد من كلمتين نحو إن الله هو الرزاق بأصله اعتبارًا بالوقف
وإذن إن وقف عليها بالنون وهو المختار كتبت بها وإلا فبالألف وهو رأي
الجمهور وخرج عن الأصل أشياء منها الهمزة [illegible] أو قطعًا في كتابتها تنفرد
لأن لها أحوالًا فإن كانت أولًا أي أول الكلمة كتبت بالألف مطلقًا مفتوحة كانت كأيوب
أو مكسورة كإذا أو مضمومة كأولو وأخر [illegible]
ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا متحركًا كتبت بحرف حركة متلوها فإن كانت متحركة بالألف أو كسرة
فبالياء أو ضمة فبالواو نحو [illegible] فإن كانت متحركة بعد ساكنة كتبت بحرف
أي حرف حركتها نحو سأل [illegible] وإن كانت متحركة بتلو حركة كتبت على نحو سهيلها فإن
سهلت بالألف فبها نحو سال أو بالياء فبها نحو أئذا أو بالواو فبها نحو أؤنبئكم وإن كانت طرفًا

ذكره جح

طرفا

الصفحة الأخيرة من المخطوطة السعودية



كتاب اسرار الصلاة لابن القيم
رحمه الله ورضي الله عنه

اسم غلاف المخطوطة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه فصل يتعلق باسرار الصلاة لابن القيم رحمه الله ورضي الله عنه

آمين فصل في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان ان احد

الذوقين مباين للآخر من كل وجه وان كل ما قوي ذوق احدهما وسلطانه ضعف

الآخر وسلطانه فاعلم انه لا ريب ان الصلوة والقرآن قرة عيون المحبين ولذة

ارواح الموحدين وبستان العابدين ونزهة نفوس الخاشعين ومحك

احوال الصادقين وميزان احوال السالكين وهي رحمة الله المهداة الى

عباده المؤمنين هداهم اليها وعرفهم بها واهداها اليهم على يد رسوله

الصادق الامين رحمة لهم واكراما لهم لينالوا بها شرف كرامته والفوز بقربه

لا لحاجة منه اليهم بل منة منه وتفضلا عليهم وتعبد بها قلوبهم وجوارحهم

جميعا وجعل حظ القلب منها اكمل الحظين واعظمهما وهو اقباله على ربه سبحانه

وفرحه وتلذذه بقربه وتنعمه بحبه وابتهاجه والقيام بين يديه وانصرافه

حال القيام له في العبودية عن الالتفات الى غير معبوده وتكميل حقوق عبوديته

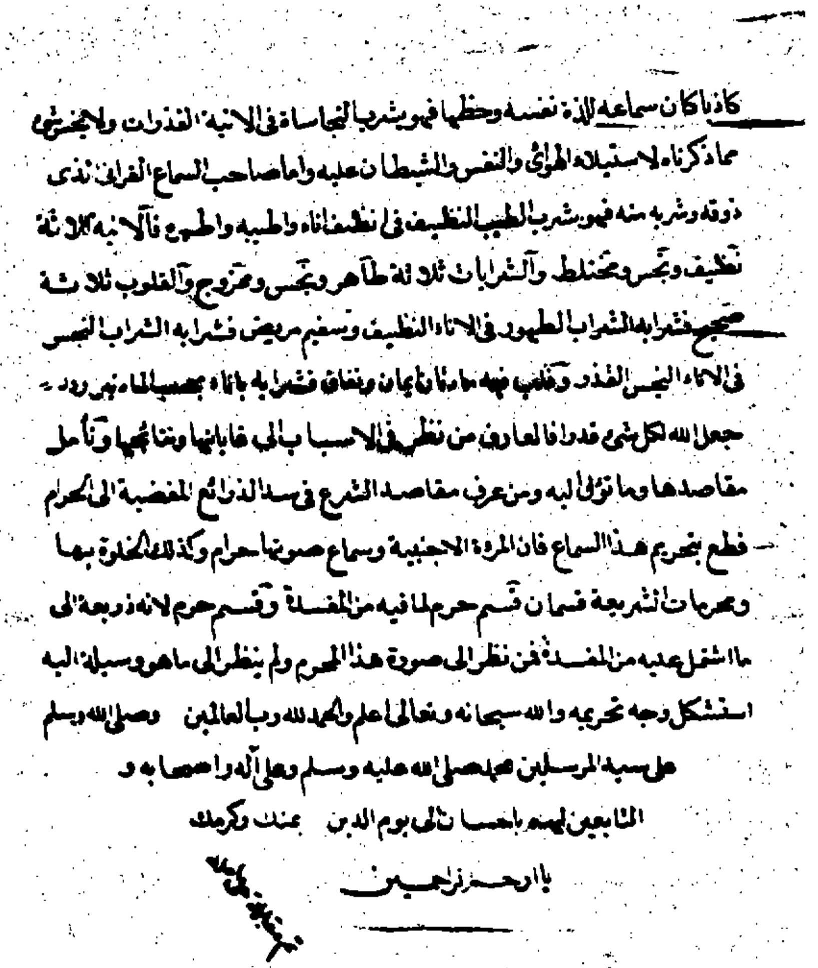
ظاهرا وباطنا التفع على الوجه الذي يرضاه ولما امتحن سبحانه عبده بالشهوات

واسبابها من داخل فيه وخارج عنه اقتضت رحمته واحسانه اليه ان هيأ

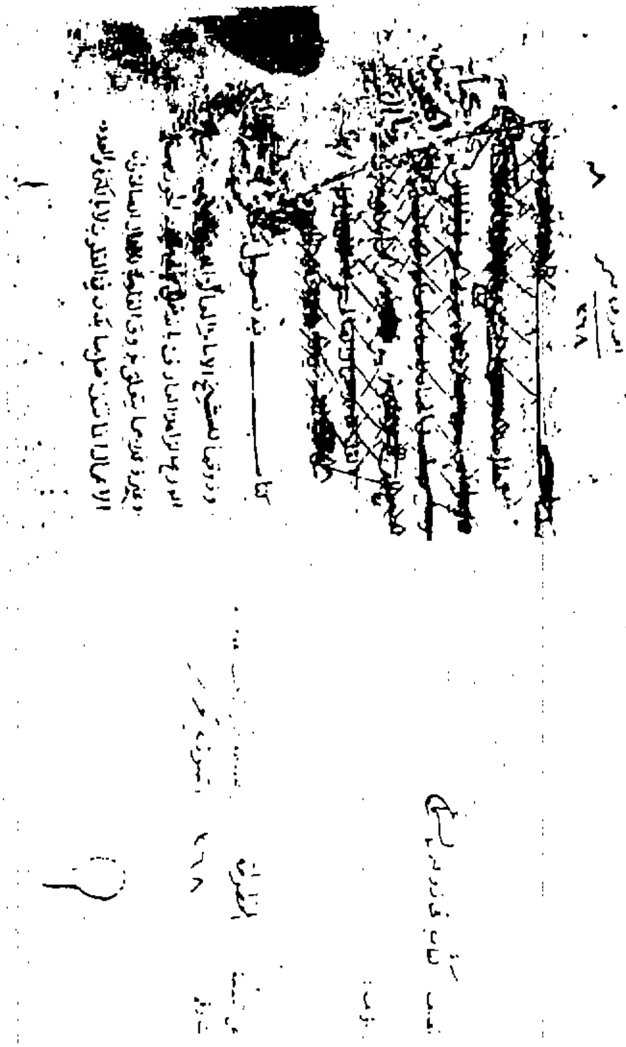
مأدبة قد جمعت له جميع الالوان والتحف والخلع والعطايا ودعى اليها كل يوم خمس

مرات

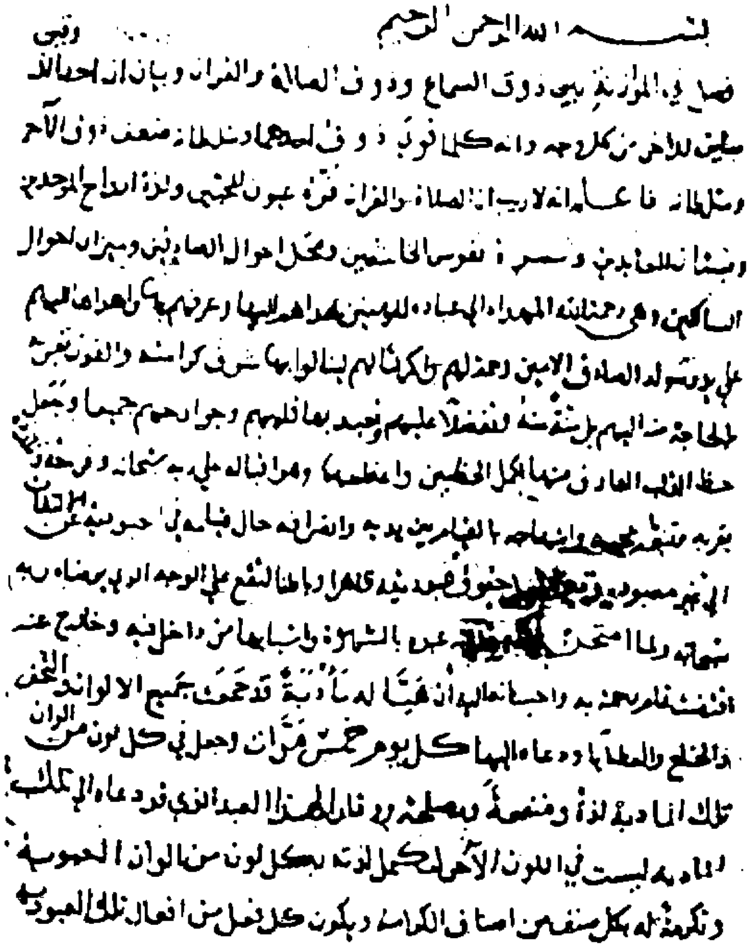
الصفحة الأولى من المخطوطة العراقية


كاذا كان سماعه للذة نفسه وحظها فهو بشرب النجاسات في الانية القذرات ولا يخفى
مما ذكرناه لاستيلاء الهوى والنفس والشيطان عليه واما صاحب السماع القرآني ذى
ذوقه وشربه منه فهو بشرب الطيب النظيف في نظيف اناء واطيبه واطهره فالآنية ثلاثة
نظيف ونجس ومختلط والشرابات ثلاثة طاهر ونجس وممزوج والقلوب ثلاثة
صحيح فشرابه الشراب الطهور في الاناء النظيف وسقيم مريض فشرابه الشراب النجس
في الاناء النجس القذر وقلب فيه مادتان ايمان ونفاق فشرابه باناء بحسبه الماء نهر ورد
جعل الله لكل شيء قدرا فالعارف من نظر في الاسباب الى غاياتها ونتائجها وتأمل
مقاصدها وما تؤول اليه ومن عرف مقاصد الشرع في سد الذرائع المفضية الى الحرام
قطع بتحريم هذا السماع فان المرأة الاجنبية وسماع صوتها حرام وكذلك الخلوة بها
ومحرمات الشريعة قسمان قسم حرم لما فيه من المفسدة وقسم حرم لانه ذريعة الى
ما اشتمل عليه من المفسدة فمن نظر الى صورة هذا المحرم ولم ينظر الى ما هو وسيلة اليه
استشكل وجه تحريمه والله سبحانه وتعالى اعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه و
التابعين لهم باحسان الى يوم الدين بمنك وكرمك
يا ارحم الراحمين

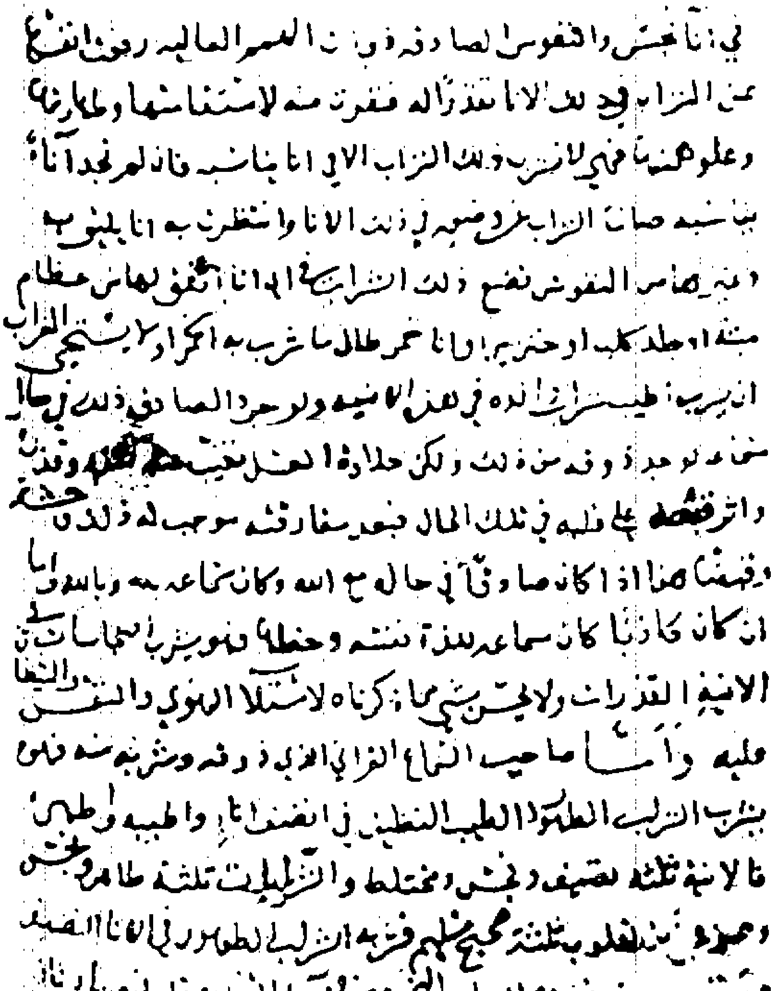
الصفحة الأخيرة من المخطوطة العراقية



غلاف المخطوطة المصرية


بسم الله الرحمن الرحيم ... وبه
فصل في الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن وبيان ان احدهما
مباين للآخر من كل وجه وانه كلما قوي ذوق احدهما ضعف ذوق الآخر
... فاعلم انه لا ريب ان الصلاة والقرآن قرة عيون المحبين ولذة ارواح الموحدين
[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوطة المصرية


في إناء نجس والنفوس لما [illegible] العمر العالية [illegible]
عن الشراب وذلك لأنا نقذر له فنفرت منه لاستقذارها وطهارتها
وعلو همتنا فهي لا تشرب ذلك الشراب إلا في إناء يناسبه فإذا لم نجد إناء
يناسبه صان الشراب عن وضعه في ذلك الإناء واستطرت به إناء يليق به
[illegible] النفوس نضع ذلك الشراب في إناء أتفق لها من عظام
ميتة أو جلد كلب أو خنزير أو إناء خمر طالما شرب به الكرار لا يستحي الشراب
أن يشرب فليس يرى لذة في تلك الآنية ولو وجد الماء في ذلك في حال
[illegible] ولكن حلاوة العمل تغيب [illegible]
[illegible] على قلبه في تلك الحال بعد مفارقته يوجب له ذلك
ويفهمنا هذا إذا كان صادقا في حاله مع الله وكان سماعه به وبالله وأما
إن كان كاذبا كان سماعه بلذة نفسه وحظها فهو يشرب [illegible]
الآنية القذرات ولا يحس بشيء مما ذكرناه لاستيلاء الهوى والنفس على
قلبه وأما صاحب السماع الرباني الذي ذوقه وشربه منه فهو
يشرب الشراب الطهور الطيب النظيف في أنظف آنية وأطيبه وأطهره
فالآنية ثلاثة نظيف ونجس ومختلط والأشربة ثلاثة طاهر ونجس
ومموه [illegible] القلوب ثلاثة [illegible] فيه الشراب الطهور في الإناء النظيف
وسقيم [illegible] الشراب النجس في الإناء القذر وقلب [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة المصرية

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

رب يسّر وأعن يا كريم

قال الإمام محمد بن أبي بكر بن القيّم الجوزية[٢] رحمه الله تعالى[٣].

فصلٌ

في الموازنة[٤] بينَ ذوق السَّماع وذوق الصلاة والقرآن[٥]، وبيان أنَّ أحد الذوقين مباين[٦] للآخر من كل وجه[٧]، وأنه كلّما قوي ذوق أحدهما وسلطانه ضعف ذوق[٨] الآخر وسلطانه.

الصلاة قرة عيون المحبين وهدية الله للمؤمنين

فاعلمْ أنّه[٩] لا ريب أنَّ الصلاة[١٠] قرةُ عُيونِ المحبين، ولذّةُ أرواح الموحدينَ، وبستان العابدين ولذة[١١] نفوس الخاشعين[١٢]، ومحك[١٣] أحوالِ

(١) البسملة ليست في (ط).
(٢) في (س)، الجوزي وهو خطأ.
(٣) من البداية إلى هنا من نسخة (س) ولا يوجد في بقية النسخ.
(٤) في (س) الفرق.
(٥) (القرآن) ليست في (ط).
(٦) (مباين) ليست في (س).
(٧) (من كل وجه) ليست في (ط).
(٨) (ذوق) ليست في (س) (ع).
(٩) (فاعلم أنه) ليست في (ط).
(١٠) في (م) (ع) (س) (وذوق الصلاة والقرآن) وهذا غير صحيح فإنه سيتكلم عن الصلاة فحسب.
(١١) في (م) (وثمرة) وفي (ع): (ونزهة).
(١٢) قوله: (وبستان –إلى قوله– الخاشعين) في (ط).
(١٣) في (س) (م) (ع) (محل) وما أثبتناه من (ط) فإنّه أقرب للمعنى.

الصادقينَ، وميزان أحوالِ السالكين، وهي رحمةُ اللهِ المهداة إلى عبادهِ المؤمنين(١).

هداهم إليها، وعرّفهم بها، وأهداها إليهم على يدِ رسولهِ الصادق الأمين(٢)، رحمةً بهم، وإكراماً لهم، لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه لا لحاجة(٣) منه إليهم، بل مِنّة منه، وتفضّلاً عليهم(٤)، وتعبَّد بها قلوبهم وجوارحهم(٥) جميعاً، وجعلَ حظَّ القلب العارف(٦) منها أكملَ الحظين وأعظمهما؛ وهو إقباله على ربِّهِ سبحانه، وفرحه وتلذّذه بقربه، وتنعّمه(٧) بحبه، وابتهاجه(٨) بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام(٩) له بالعبودية عن الالتفات إلى غيرِ معبودهِ، وتكميله(١٠) حقوق عبوديته ظاهراً وباطناً(١١) حتى(١٢) تقع على الوجه الذي يرضاه(١٣) ربه سبحانه(١٤).

على العبد أن يقبل على ربه في الصلاة

---

(١) في (ط) (رحمته المهداة إلى عبيده، هداهم..).

(٢) قوله (وأهداها إليهم -إلى قوله- الصادق الأمين) ليست في (ط).

(٣) في (ط) (حاجة).

(٤) في (ط) (بل منه مناً وفضلاً منه عليهم)، وما أثبتناه لعله أبلغ.

(٥) في (ط) (القلب والجوارح).

(٦) (العارف) من (م)

(٧) في (م) (متنور) وفي (س): (وتنعم).

(٨) في (م) (وأتبعه حبه).

(٩) في (م) (قيامه في العبودية) وفي (س) (القيام بالعبودية).

(١٠) في (م) (وتعول)ن وفي (س): (وتكميل).

(١١) (ظاهراً وباطناً) زيادة من (م) فقط.

(١٢) في (م) (وتقع) وفي (ع): (لتقع).

(١٣) في (س) (يرضيه).

(١٤) (ربه سبحانه) من (ط).

العبد امتحن بالشهوة وأشباهها

ولما امتحن الله[١] سبحانه عبدهُ بالشهوة[٢] وأشباهها[٣] من داخل فيه وخارج عنه، اقتضت [تمام[٤] رحمته به وإحسانه إليه أن هيئ له مأدبة قد جمعت من[٥] جميع الألوان والتحف والخلع والعطايا، ودعاه إليها[٦] كل يوم خمسَ مرّات، وجعل في كلِّ لون من ألوان تلك المأدبة، لذّة ومنفعة ومصلحة ووقاراً[٧] لهذا العبد، الذي قد دعاه إلى تلك[٨] المأدبة ليست في اللون الآخر، لتكمل لذة عبده في كل[٩] لون من ألوان العبودية][١٠] ويُكرمه[١١] بكلِّ صنفٍ مِنْ أصناف الكرامة[١٢]، ويكون كلّ فعل مِنْ أفعالِ تلكَ العبودية مُكفّراً لمذمومٍ كان يكرهه بإزائه، ويثيبه عليه نوراً خاصّاً[١٣]، فإن الصلاة نورٌ[١٤] وقوةٌ في قلبه وجوارحه [وسعةً في رزقه، ومحبة في العباد له، وإنَّ الملائكة لتفرح وكذلك[١٥] بقاع الأرض، وجبالها وأشجارها[١٦]، وأنهارها

كل فعل من أفعال الصلاة مكفراً لمذموم إزائه

---

(١) (الله) زيادة من (م).
(٢) في (ط)، (ع) بالشهوات.
(٣) في (م)، (ط)، (ع) وأسبابها.
(٤) (تمام) ليست في (ع).
(٥) (من) زيادة من (ط).
(٦) في (ط) (إليه). وفي (ع): (ودُعي إليها).
(٧) (ووقاراً) زيادة من (ط).
(٨) (تلك) زيادة من (م).
(٩) (لذة عبده في كل) في (م).
(١٠) ما بين [ ] ساقط من (س).
(١١) في (م) (تكرمه له).
(١٢) في (ع): (الكرام).
(١٣) في (س) خالصاً.
(١٤) ما بين ( ) ساقط من (ط).
(١٥) في (س) تفرح وكذا.
(١٦) (وأشجارها) زيادة من (م).

تكون له نوراً[(١)](٢) وثواباً خاصّاً يوم لقائه(٣).

فيصدر المدعو من هذه المأدبة وقد أشبعه وأرواه، وخَلَعَ عليه بخلع القبول(٤)، وأغناه، وذلك أنّ قلبه(٥) كان قبل أنْ يأتي هذهِ المأدبة(٦)، قد ناله من الجوع والقحط والجدب والظمأ(٧) والعري(٨) والسقم ما ناله، فصدر(٩) من عنده وقد أغناه وأعطاه من(١٠) الطعام(١١) والشراب واللباس والتحف ما يغنيه.

تشبيه القلب بالأرض

ولما كانت الجُدُوبُ(١٢) متتابعة على القلوب(١٣)، وقَحْطُ النفوس متوالياً عليها، جَدّد له الدعوة إلى هذه(١٤) المأدبة وقتاً بعد وقت رحمة منه به(١٥)، فلا

(١) بياض في (س) ولا توجد في (ع).
(٢) ما بين [ ] ساقط من (ط).
(٣) في (س) القيامة.
(٤) في (م) (خلع القبول) وهي ساقطة من (س) (ع)، والمثبت من (ط).
(٥) في (ط) لان القلب.
(٦) ما بين ( ) ساقطة من (ط).
(٧) في (ط) تقديم وتأخير والعبارة في (ط) (من القحط والجدب والجوع والضمأ..).
(٨) في (س): (العسر).
(٩) في (ط) فأصدر.
(١٠) والعبارة في (ط) (وقد أغناه عن الطعام) وهي عبارة محرفة.
(١١) في (س) بياض بدل كلمة الطعام.
(١٢) في (س) الجدب، وفي (م) كتب (الجودب).
(١٣) المثبت من (م) (ع) وفي (س) بياض، أما في (ط) فالعبارة (ولما كانت الجدوب متتابعة، وقحط..).
(١٤) في (م) (تدعوه لهذه).
(١٥) في (س) (رحمة له منه).

يزال مُسْتَسقياً[١]، طالباً إلى[٢] مَنْ بيده[٣] غيثُ القلوب، وسَقْيُها[٤] مستَمْطِراً سحائبَ[٥] رحمته لئلا يَيْبس ما أنبتته له[٦] تلك الرحمة من نبات الإيمان، وكلأ الإحسان وعُشْبه[٧] وثماره، ولئلا تنقطع مادة النبات من الروح والقلب، فلا يزال[٨] القلب في استسقاء واستمطار هكذا دائماً، يشكو الى ربه جَدْبَهُ، وقَحْطَهُ، وضرورته إلى سُقيا رحمته، وغيثِ برّهِ، فهذا دأبُ العبد أيامَ حياته.

الغفلة هي قحط القلوب

(فالقحط الذي ينزل بالقلب هو الغفلة، فالغفلة هي قحْط القلوب وجدبها)[٩]، وما دام العبد[١٠] في ذكر الله والإقبال[١١] عليه فغيث الرحمة ينزل[١٢] عليه كالمطر المتدارِكِ، فإذا[١٣] غفل ناله (من القَحْطِ بحسب غفلته قلّةً وكثرة)[١٤]، فإذا تمكّنتِ الغفلة منه[١٥]، واستحكمت[١٦] صارت

---

(١) في (س) (مستقيماً) وفي (ع): (مستسقياً مستقيماً).
(٢) في (ط) لا توجد (طالباً إلى).
(٣) (من يده) ليست في (ع).
(٤) في (م) (وشفيها)، وفي (س) (عليها.
(٥) في (م) (أصحاب) وهو تحريف.
(٦) زيادة من (ط).
(٧) في (ط) العبارة (تلك من كلأ الإيمان وعشبه).
(٨) في (ط) العبارة (مادة النبات والقلب في استسقاء).
(٩) ما بين ( ) كتب بدلها في (ط) (فإن الغفلة التي تنزل بالقلب هي القحط والجدب).
(١٠) في (ط) (فما دام في ذكر الله).
(١١) في (س) (والاستغناء بربه) وفي (ع): (والاستغفار له).
(١٢) في (ط) (واقع) وفي (ع): (نازل).
(١٣) في (ط) بياض بالأصل قدّرها المحقق (فإذا) وأصاب.
(١٤) ما بين ( ) من (ط) (م) وفي س (محل وجدب بسبب غفلته قلت أو أكثرت).
(١٥) (منه) ليست في (ط).
(١٦) واستحكمت ليست في (س).

أرضه[١] خراباً ميتة، وسَنَته جرداء يابسة، وحريق الشهوات يَعمل[٢] فيها من كل جانب كالسَّمائِم[٣].

(فتصير أرضه بوراً بعد أن كانت [مخصبة بأنواع النبات، والثمار وغيرها][٤])[٥]، (وإذا تدارك عليه غيثُ الرحمة)[٦] اهتزت أرض[٧] إيمانه وأعماله وربت، وأنبتت من كلِّ زوج بهيج، فإذا ناله القحط والجذب كان بمنزلةِ شجرة رُطوبتها وخضرتها[٨] ولينها وثمارها من الماء، فإذا منعت من الماء يبسَت [عروقها وذبُلَت أغصانها، وحُبِست ثمارها، وربما يبست الأغصان والشجرة، فإذا مددت منها غصناً إلى نفسك لم يمتد، ولم ينْقَدْ لك، وانكسر، فحينئذ تقتضي حِكمة قيِّم البُستان قَطْع تلك الشجرة وجعلَها وقوداً للنار.

القلب ييبس إذا خلا من توحيد الله

فكذلك القلب، إنما يَيْبَسُ إذا خلا من توحيد الله وحبه ومعرفته وذكره ودعائه، فتصيبه حرارة النفس، ونار الشهوات، فتمتنع أغصان الجوارح من الامتداد إذا مددتها، والانقياد إذا قُدْتها، فلا تصلح بعدُ هي والشجرة إلا للنّار، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر:٢٢]، فإذا كان

---

(١) أرضه ليست في (س) والعبارة في س (صار خراباً ميتاً).
(٢) (يعمل) ليست في (ط) وفي (م) تعمل.
(٣) في (م) كاسائم وفي (ط) السائم قدرها المحقق كالسمائم فأصاب، والسمائم هي الريح الحارة، كما في لسان العرب (١٢/ ٣٠٤).
(٤) ما بين [ ] ساقطة من (س) (ع).
(٥) ما بين ( ) ساقطة من (م) (ع).
(٦) ما بين ( ) ساقطة من (س) (ع).
(٧) في (م) (إلى مدخل) وفي (ط) (اهتزت أرضه وربت)، والمثبت من (ع) (س).
(٨) (خضرتها) ساقطة من (ط).

القلب ممطوراً بمطر الرحمة، كانت الأغصان لَيّنةً مُنقادة رطبة، فإذا مددتها إلى أمر الله انقادت معك، وأقبلت سريعة لينة وادعة، فجَنَيتَ منها من ثمار العبودية ما يحمله كل غصن من تلك الأغصان ومادتها من رطوبة القلب وريِّه، فالمادة تعمل عملها في القلب والجوارح، وإذا يبسَ القلب تعطلت الأغصان من أعمال البِّر؛ لأن مادة القلب وحياته قد انقطعت منه فلم تنتشر في الجوارح، فتحمل كل جارحة ثمرها من العبودية، ولله في كل جارحة من جوارح العبد عبودية تَخُصُّه، وطاعة مطلوبة منها، خلقت لأجلها وهيئت لها][(١)].

والناسُ بعد ذلك[(٢)] ثلاثة أقسام[(٣)]:

الناس ثلاثة اقسام في استعمال جوارحهم

[أحدهما: مَن استعمل تلك الجوارحِ فيما خلقت له، وأريد منها، فهذا هو الذي تاجر الله بأربحِ التجارة، وباع نفسه لله بأربح البيع.

والصلاة وُضِعت لاستعمال الجوارح جميعها في العبودية تبعاً لقيام القلب بها][(٤)] وهذا[(٥)] (رجلٌ عرفَ نعمةَ اللهِ فيما خُلق له[(٦)] من الجوارح وما[(٧)]

---

(١) ما بين [ ] من (ط) فقط وكتب بدله في البقية: (يبست تبعاً لترك قيام القلب بها وتركه تعاهدها).
(٢) (بعد ذلك) زيادة من (ط).
(٣) (أقسام) من (ط).
(٤) ما بين [ ] زيادة من (ط).
(٥) (وهذا) وضعناها لنجمع بين النصين وهي تشير إلى الذي باع نفسه لله.
(٦) (له) زيادة من (س) (ع).
(٧) (ما) من (ع).

أنعم عليه من الآلاء[١]، والنِعم، فقام بعبوديته ظاهراً وباطناً واستعمل جوارحه في طاعة ربه، وحفظ نفسه وجوارحه عمّا يُغضب ربه ويشينه عنده)[٢].

والثاني: من استعمل[٣] جوارحه فيما لم تُخلق له[٤]، بل حبسها على المخالفات والمعاصي، ولم يطلقها[٥]، فهذا هو الذي خابَ سعيهُ، وخسِرَت تجارته، وفاته رضا ربّه عزّ وجل عنه، وجزيل ثوابه، وحصل على سخطه[٦] وأليم عقابه.

والثالث: مَنْ[٧] عطّل جوارحه، وأماتها بالبطالة والجهالة[٨]، فهذا أيضا خاسر بائر[٩] أعظم خسارة من الذي قبله[١٠]، فإن العبد[١١] إنما خُلِقَ للعبادة والطاعة لا للبطالة.

---

(١) في (م) الإيمان.
(٢) ما بين ( ) ليست في (ط).
(٣) في (ط) (من استعملها) وفي البقية (والثاني استعمل جوارحه).
(٤) في (ط) كتب بعد ذلك (ولم يطلق لها) وكتب المحقق في الهامش (في العبارة فيها خلل ولعلها لم يخلق لها).
(٥) (بل حبسها –إلى قوله- يطلقها) ليست في (ط).
(٦) في (م) (قحطه).
(٧) من ليست في (ظ).
(٨) الجهالة ليست في (ط).
(٩) بائر زيادة من (م).
(١٠) (من الذي قبله) زيادة من (س) (ع).
(١١) في (س) فالعبد.

وأبغض الخلق إلى الله العبد[١] البطّالُ الذي (لا في شغل الدنيا ولا في سعي الآخرة[٢])[٣].

بل هو كَلّ[٤] على الدنيا والدين، (بل لو سعى للدنيا ولم يسع للآخرة كان مذموماً مخذولاً، وكيف إذا عطّل الأمرين، وإنَّ امرءً يسعى لدنياه دائماً، ويذهل عن أخراه، لا شكَّ خاسر)[٥].

تمثيل لهذه الأصناف الثلاثة

فالرجل[٦] الأول، كرجل أُقْطِعَ أرضاً واسعة، وأُعينَ على عمارتها[٧]

---

(١) (العبد) ليست في (ط).

(٢) لا أدري إن كان ابن القيم يشير إلى الحديث المشهور: «إن الله يكره الرجل البطّال» وهذا حديث لا أصل له كذا حكم عليه الزركشي والسيوطي والعجلوني وغيرهم ولعلَّ أصل الحديث أقوال السلف، فقد ورد عن ابن مسعود عند الطبراني في الكبير (٨٥٣٨، ٨٥٣٩)، وأبي نعيم في الحلية (١/ ١٣٠) عنه أنّه قال: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة»، وفي رواية عند أبي نعيم (إني لأمقت).

وفي هذا وأمثاله يقول ابن مسعود (لا ألفين أحدكم جيفةً ليله قُطرُب نهاره) رواه ابن المبارك في الزهد (١٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠)، ومعنى قُطْرُب كما فسره أبو عبيد في غريب الحديث (٤/ ١١٢): (القُطْرُب: دويبة لا تستريح نهارها سعياً، فشبه عبدالله الرجل الذي يسعى في حوائج الدنيا، فإذا أمسى كالاً مزحفا، فينام ليلته حتى يصبح لمثل ذلك، فهذا جيفة ليله قُطرُب نهاره) أ.هـ.

أو هو كما فسره ابن عيينة كما الحلية (١/ ١٣٠): الذي يجلس ههنا ساعة وههنا ساعة.

(٣) ما بين ( ) من (ط)، أما في (م) فكتب (ليس فيه أمر دنياه، ولا أمر آخرته) وفي (س) (ع) (لا يعمل لدنياه ولا لآخرته).

(٤) في (س) (ع) أما في (ط) فكتب (فهذا كل).

(٥) ما بي ( ) ليست في (ط)، وفي (س) (ع) (بل سعى في الطاعة سعي مخذول فكيف إذا عطل الأمرين فإن من عطل دنياه وآخرته لا شك خاسر).

(٦) (فالرجل) ليست في (ط).

(٧) ساقطة من (ط).

بآلات الحرث، والبذر[١] وأعطي ما يكفيها لسقيها[٢] وحرثها[٣]، فحرثها وهيّأها للزراعة، وبذَرَ فيها من أنواع الغلات[٤]، وغرس فيها من أنواع الأشجار[٥] والفواكه المختلفة الألوان[٦] ثم أحاطها بحائطٍ[٧]، ولم يهملها بل أقام عليها الحرس، وحصّنها من الفساد[٨] والمفسدين، وجعل يتعاهَدُها كل يوم فيُصْلِح ما فَسَد منه، ويَغْرس فيها[٩] عِوَضَ ما يبسَ، وينقي[١٠] دَغَلَها ويقطع[١١] شوكها، ويستعين بغلّتها[١٢] على عمارتها.

والثاني: بمنزلة رجل أخذ تلك الأرض، وجعلها مأوى السباع والهوامّ، وموضعاً[١٣] للجيف والأنتان، وجعلها معقِلاً يأوي إليه فيها[١٤] كل مفسِدٍ

---

(١) في (ط) البذار.

(٢) في (م) السقيا.

(٣) وحرثها ليست (ط).

(٤) في (ط) الغلال.

(٥) في (ط) الثمار.

(٦) في (ط) الأنواع.

(٧) أحاطها بحائط ليست في (ط).

(٨) في (س) (فساد المفسدين) وفي (ط) (وحفظها من المفسدين) وفي (ع) (وحفظها من الفساد).

(٩) (فيها) ليست في (ط) (ع).

(١٠) في (ط) (ع) وينفي.

(١١) في (ع) ويقصع.

(١٢) في (ط) (س) (ع) بمغلها وفي (م) (بغلها) من الغَلّة والصواب ما أثبتناه وبه يستقيم المعنى، أما المغل فهو اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل.

(١٣) في (ط) مطرحاً.

(١٤) فيها ليست في (ط).

ومُؤذٍ[١] ولصّ، وأخذ ما أعين به من حراثتها[٢] وبذارِها وصلاحها[٣]، فصرفه وجعله[٤] معونة ومعيشة لمن فيها، مِنْ أهل الشرّ والفساد.

والثالث: بمنزلة رجل عطّلها وأهملها وأرسل الماء[٥] ضائعاً في القِفَار والصحارى فقعد مذموماً محسوراً[٦].

فهذا مثال أهل اليقظة، وأهل الغفلة، وأهل الخيانة[٧].

أهل اليقظة والغفلة والخيانة

فالأول: مثال أهل اليقظة، والاستعداد لما خلقوا له.

والثاني: مثال أهل الخيانة.

والثالث: مثال لأهل[٨] الغفلة[٩].

فالأول: إذا تحرّك أو سَكَن، أو قام أو قعد، أو أكل أو شرب، أو نام، أو لبس، أو نطق، أو سكت كان ذلك كلّه له لا عليه، وكان في ذكرٍ وطاعةٍ وقربة ومزيد[١٠].

---

(١) ليست في (م).

(٢) في (م) حرثها، وفي (ط) لا توجد.

(٣) في (س) (وبذرها وإصلاحها).

(٤) (وجعله) ليست في (ط).

(٥) في (ط) ذلك الماء.

(٦) في (م) محصوراً.

(٧) في (ط) كتب (فهذا مثال أهل الغفلة، والذي قبله مثال أهل الخيانة والجناية، والأول مثال أهل اليقظة والاستعداد لما خلقوا له).

(٨) (لأهل) من (س) وفي (ع) (أهل).

(٩) (والثاني مثال –إلى قوله– الغفلة) لا توجد في (ط).

(١٠) (ومزيد) ساقطة من (م).

والثاني: إذا فعل ذلك كان عليه لا له، وكان في طردٍ وإبعادٍ وخُسران[١].

والثالث: إذا فعل ذلك كان في غفلة وبطالةٍ وتفريطٍ.

فالأول: يتقلّب فيما يتقلب فيه بحكم الطاعة[٢] والقُربة.

والثاني: يتقلب في ذلك[٣] بحكم الخيانة والتعدّي، فإنّ الله لم يملّكه ما ملّكه ليستعين به على مخالفته، فهو جانٍ[٤] متعد[٥] خائِن[٦] لله تعالى في نعمه عليه[٧] معاقَبٌ على التنعُّم بها في غير طاعته[٨].

والثالث: يتقلّبُ في ذلك ويتناوله بحكم الغفلة والهوى ونهمة النفس وطبعها[٩]، لم[١٠] يتمتع[١١] بذلك ابتغاء[١٢] رضوان الله[١٣] تعالى والتقرب إليه[١٤]، فهذا خسرانه[١٥] بيّن واضح، إذ

---

(١) في (م) خسارات.

(٢) في (ط) الطاقة.

(٣) (يتقلب في ذلك) من (ط).

(٤) في (س) خائن.

(٥) في (م) معتدٍ.

(٦) في (س) خان.

(٧) (عليه) ليست في (ط).

(٨) في (س) طاعة، وفي (ع): (التنعم فيها بغير طاعته).

(٩) العبارة في (ط): (بحكم الغفلة، وبهجة النفس وطبيعتها).

(١٠) في (س) (ثم) وهو خطأ واضح.

(١١) في (ط) يبتغي.

(١٢) (ابتغاء) ليست في (ط).

(١٣) لفظ الجلالة ليست في (م).

(١٤) (والتقرب إليه) ليست في (س).

(١٥) في (ط) (س) لخسرانٍ.

عطّل أوقات عمره التي لا قيمة لها عن[١] أفضل الأرباح والتجارات[٢].

فدعا الله عباده المؤمنين[٣] الموحّدين إلى هذه الصلوات الخمس، رحمة منه بهم[٤]، وهيأ لهم فيها أنواع العبادة؛ لينال العبد مِنْ كلِّ قول وفعل وحركة وسكون حظه من عطاياه.

ما هو سرّ الصلاة؟ وتمثيل لذلك

وكان سرُّ الصلاة ولُبها إقبالَ القلب[٥] فيها على الله، وحضوره بكلّيته[٦] بين يديه[٧]، فإذا لم يقبل عليه واشتغل بغيره ولهى بحديث نفسه[٨]، كان بمنزلة وافد وفد الى باب الملك معتذراً[٩] من خطاياه[١٠]، وزلله مستمطراً سحائب[١١] جوده وكرمه[١٢] ورحمته، مستطعماً له ما[١٣]يقيت[١٤] قلبه، ليقوى[١٥] به على القيام في خدمته، فلما وصل إلى باب الملك[١٦]، ولم يبق

(١) في (س) من.
(٢) في (ع): (التجارة).
(٣) (المؤمنين) ليست في (ط).
(٤) في (ط) عليهم.
(٥) في (م) (الطلب)، وفي (ع): (العبد).
(٦) في (م) كليته.
(٧) في (س) يده.
(٨) في (ط) (النفس).
(٩) في (م) (مستعذراً)، وفي (ع) (مستعذراً إليه).
(١٠) في (ط) خطاه.
(١١) في (م) نجائب وفي (ط) السحائب.
(١٢) (وكرمه) ليست في (ط).
(١٣) في (س) (لما) بدل (له ما).
(١٤) في (ط) يقوت.
(١٥) في (س) (ع) ليتقوى.
(١٦) في (ط) الباب.

إلا مناجاته له[١]، التفت عن الملك وزاغ عنه[٢] يميناً وشمالاً[٣]، أو[٤] ولاه ظهره، واشتغل عنه بأمقت شيء إلى الملك، وأقلّه عنده قدراً عليه، فآثره عليه[٥]، وصيّره قبلة قلبه، ومحِلَّ توجهه، وموضِعَ سرّه، وبعث غلمانه وخدمه ليقفوا في خدم طاعة[٦] الملك عوضاً عنه[٧] ويعتذروا عنه، وينوبوا عنه في الخدمة، والملك يشاهد[٨] ذلك ويرى حاله مع هذا، فكرم الملك وجوده وسعة برّه وإحسانه تأبى[٩] أن يصرف[١٠] عنه تلك الخدم[١١] والأتباع[١٢]، فيصيبه[١٣] من رحمته وإحسانه[١٤]؛ لكن فرق بين قسمة الغنائم على أهل السُّهمان من الغانمين، وبين الرضْخ[١٥] لمن لا سهم[١٦] له: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف:١٩]، والله

(١) في (م) (ط) (مناجاة الملك).
(٢) (وزاغ عنه) من (ط).
(٣) لا توجد في (ط).
(٤) في (م) (س) (و) وليست (أو).
(٥) (فآثره عليه) من (ط).
(٦) (طاعة) من (ط).
(٧) (عوضاً عنه) ليس من (ط).
(٨) في (ط) شاهد.
(٩) في (ط) (ع) يأبى.
(١٠) في (س) (ع) (ط) (يتصرف).
(١١) في (م) (ع) الخدمة.
(١٢) في (م) (الخدم ضائعة).
(١٣) في (ع) (ط) (س) (فيصبها).
(١٤) (تأبى أن يصرف -إلى قوله- وإحسانه) ليست في (س).
(١٥) الرضخ: العطية القليلة.
(١٦) في (م) يسهم.

سبحانه وتعالى خلق هذا النوع الإنساني[١] لنفسه واختصه له، وخلق كل شيء له، ومن أجله[٢] كما في الأثر الإلهي:

الإنسان خلق لعبادة الله

«ابن آدم خلقتكَ لنفسي، وخلقتُ كلَّ شيءٍ لكَ، فبحقي عليكَ لا تشتغل بما خلقته لك عمّا خلقتك له»[٣].

وفي أثر آخر:

«ابن آدم خلقتُك لنفسي فلا تلعَبْ[٤] وتكفّلت برزقِكَ فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإنْ وجدتني وجدتَ كلّ شيء، وإن فُتّك فاتكَ كلّ شيء، وأنا أحبَ[٥] إليكَ مِنْ كلّ شيء»[٦].

وجعل سبحانه وتعالى الصلاة سبباً موصلاً إلى قُربه، ومناجاته، ومحبته والأنس به.

---

(١) الإنساني ليست في (س).

(٢) (من أجله) ليست في (ط) وفي (ع) (خلق كل شيء من أجله).

(٣) هذا الأثر ذكره ابن القيم في مؤلفاته فذكره في كتابه «طريق الهجرتين» (٨٣) (٣٦٧) وفي «روضة المحبين» (٣٠٤)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١/ ٢٣)، والمناوي كما في «فيض القدير» (٢/ ٣٠٥) وكلهم قال: وفي الخبر الإلهي، وهذه العبارة تُقال أحياناً على الآثار المروية عن بني إسرائيل، وهو الراجح في مثل هذا الأثر.

(٤) (فلا تلعب) ليست في (م).

(٥) في (ط) (خير).

(٦) هذا الأثر ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٩)، وقال: (وفي بعض الكتب الإلهية)، وذكره ابن القيم في «الداء والدواء» (١٤١)، وفي «طريق الهجرتين» (٨٣، ٣٦٧)، والمناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٠٥) وكلّهم عزاه للخبر أو الأثر الإلهي؛ إشارة إلى أنّه من الإسرائيليات وكلا الأثرين السابقين صحيح المعنى.

ما بين الصلوات الخمسة تحدث الغفلة

وما بين الصلاتين تَحدثُ للعبد الغفلة والجَفوة والقسوة[١]، والإعراض والزلات، والخطايا، فيبعده ذلك[٢] عن ربه، وينحّيه عن قُربه، فيصير بذلك كأنّه أجنبياً من عبوديته، ليس من جملة[٣] العبيد، وربما ألقى بيده إلى أسر[٤] العدو له فأسره، وغلّه، وقيّده، وحبسه[٥] في سجن نفسه وهواه.

فحظّه ضِيق الصدر، ومعالجة الهموم، والغموم، والأحزان، والحسرات، ولا يدرى السبب[٦] في ذلك. فاقتضت رحمة ربه الرحيم الودود[٧] أنْ جعل له من عبوديته عبودية جامعة، مختلفة الأجزاء، والحالات بحسب اختلاف الأحداث التي كانت[٨] من العبد، وبحسب شدّة[٩] حاجته إلى نصيبه مِنْ كلِّ خير من أجزاء تلك العبودية.

الكلام عن الوضوء

فبالوضوء يتطهَّر مِنَ الأوساخ، ويُقْدِم على ربّه متطهراً، والوضوء له[١٠] ظاهر وباطن:

فظاهره: طهارة البدن، وأعضاء العبادة.

وباطنه وسرّه: طهارة القلب مِنْ أوساخ الذنوب والمعاصي[١١] وأدرانه

---

(١) في (م) (س): (النشوة) وفي لا توجد.
(٢) في (م) (س) (وذلك بسبب البعد عن ربه) وفي (ع) (وذلك سبب البعد).
(٣) في (ع) (جنس).
(٤) في (م) (أشر)، وفي (ع) (أمر).
(٥) في (ط) (جنه) وكتب المحقق أن الكلمة غير واضحة وتحتمل (سجنه).
(٦) المثبت من (ط) في (م) سبب، وفي (س) ما سبب.
(٧) (الودود) لا توجد في (ط)، وفيها (ربه الرحيم به).
(٨) في (ط) جاءت، وليست في (ع).
(٩) (شدة) ليست في (س).
(١٠) (له) ليست في (ع)
(١١) (الذنوب والمعاصي) من (س) (م).

بالتوبة؛ ولهذا يقرن[١] تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢] وشرع النبي ﷺ للمتطهّر أن يقول[٢] بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد ثم يقول[٣]:

«اللهمَّ اجعلني مِنَ التوّابين، واجعلني مِنَ المتطهّرين»[٤].

فكمّل له مراتب العبودية[٥] والطهارة، باطناً وظاهراً، فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة.

فشرع له أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز وجل، والوقوف بين يديه، (فلما طهر ظاهراً وباطناً، أذن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه)[٦] وبذلك[٧] يخلص من الإباق.

من تمام العبودية الذهاب للمسجد

وبمجيئه[٨] إلى داره، ومحل عبوديته يصير من جملة خدمه، ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة الواجبة عند قوم والمستحبة عند آخرين[٩].

---

(١) في (م) (س) (فرق)، وفي (ط) (قرن).

(٢) في (ط) حذف المحقق كلمة (أن يقول) ليستقيم الكلام ولكنها موجودة في جميع الأصول، وأصل العبارة: (للمتطهر أن يقول بعد).

(٣) في البقية (ويقول) والمثبت من (ع).

(٤) هذا الحديث أصله عند مسلم (٢٣٤) بلفظ «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» أما زيادة الترمذي في سننه (٥٥): «اللهم اجعلني من التوابين..» الحديث فهي زيادة غير ثابتة، وللزيادة شواهد مرفوعة عند الطبراني في الأوسط وغيره، ولا تثبت، ولها شواهد موقوفة، ولا تثبت كذلك، ويراجع الملحق رقم (١) ففيه التفصيل.

(٥) العبودية ليست في (ط).

(٦) ما بين ( ) من (ط).

(٧) في (ط) بدل (بذلك) (إذ).

(٨) في (م) (بمجيئه).

(٩) نَصَرَ ابن القيّم في كتابه «الصلاة وحكم تاركها» رأي مَنْ قال بوجوب صلاة الجماعة في المسجد.

والعبدُ[١] في حالِ غفلته كالآبق من[٢] ربه، قد عطّل جوارحه وقلبه عن الخدمة التي خُلِقَ لها[٣] فإذا جاء إليه فقد رجع من إباقه[٤]، فإذا وقفَ بين يديه موقف العبودية والتذلل والانكسار، فقد استدعى عطف سيّده عليه، وإقباله عليه بَعدَ الإعراض عنه[٥].

عبودية التكبير (الله أكبر)

وأُمر بأنْ يستقبل القبلة[٦] -بيتهُ الحرام- بوجهِه، ويستقبل الله عزّ وجلّ بقلبه، لينسلخ مما[٧] كان فيه مِنَ التولي[٨] والإعراض، ثم قام بين يديه مقام المتذلل[٩] الخاضع المسكين المستعطف لسيّده عليه، وألقى بيديه[١٠] مسلّماً مستسلماً ناكس[١١] الرأس، خاشع القلب مُطرِقَ الطرف لا يلتفت قلبه عنه، ولا طرفة عين[١٢]، لا يمنة[١٣] ولا يسرة، خاشع قد توجه بقلبه كلّه إليه.

وأقبل بكليته عليه، ثم كبّره بالتعظيم والإجلال وواطأ[١٤] قلبه لسانه في

(١) في (ط) (والعبد كان في حال).
(٢) في (م) من وفي)ط) (س) عن.
(٣) في (م) (من خدمته التي خلق بها)، وفي (س) (من خدمته التي خلق لها)، وفي (ع) (من خدمته التي خلقه لها).
(٤) في (م) (إباقته).
(٥) (عنه) ليست في (س).
(٦) (القبلة) زيادة من (ط).
(٧) في (م) (س) (لما).
(٨) في (م) (التواني)، وفي (ع) (التوالي).
(٩) في (ط) (الذليل).
(١٠) في (م) (بيده).
(١١) (ناكس) من (ط) (ع).
(١٢) في (ط) (ولا طرفه).
(١٣) في (ط) (س) (ع) يمنة بدون (لا).
(١٤) في (م) (وأطاع).

التكبير[١] فكان الله أكبر في قلبه مِنْ كلِّ شيء، وصدّق هذا التكبير بأنّه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله تعالى يشغله عنه[٢]، فإنّه إذا كان[٣] في قلبه شيء يشتغل به عن الله دلّ على أنَّ ذلك الشيء أكبر عنده من الله[٤] فإنّه إذا اشتغل عن الله[٥] بغيره، كان ما اشتغل به هو[٦] أهم[٧] عنده من الله، وكان قوله «الله اكبر»[٨] بلسانه دون قلبه؛ لأنَّ قلبه مقبل على غير الله، معظماً له، مجلاً، فإذا ما أطاع[٩] اللسان القلب في[١٠] التكبير، أخرجه[١١] مِنْ لبس رداء التكبّر المنافي للعبودية، ومنعه[١٢] من التفات قلبه إلى غير الله، إذا كان الله عنده وفي قلبه أكبر من كل شيء، فمنعه حقّ قوله: الله أكبر والقيام بعبودية التكبير[١٣]من هاتين الآفتين[١٤]، اللتين هُما مِنْ أعظمِ الحُجب بينه وبين الله تعالى.

عبودية الاستفتاح

فإذا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك»[١٥] وأثنى على الله تعالى بما هو أهله،

(١) في (ط) (قلبه في التكبير لسانه).
(٢) في (م) (س) (ع) (بأن لا يكون في قلبه شيء..)
(٣) في (ط) (فإذا كان).
(٤) (كان في قلبه -إلى قوله- من الله) ليست في (ط).
(٥) عن الله من (ط).
(٦) (هو) من (م).
(٧) في (ط) (أهم ما).
(٨) في (ط) (وكان تكبيره بلسانه).
(٩) في (س) (ع) (واطوع اللسان).
(١٠) (لأن قلبه -إلى قوله- اللسان القلب في) ليس في (ط).
(١١) في (ط) (فالتكبير يخرجه).
(١٢) في (ط) (ويمنعه).
(١٤) (المنافي للعبودية -إلى قوله- بعبودية التكبير) ليست في (م).
(١٤) الآفتان هما: التكبر، والتفات القلب إلى غير الله.
(١٥) (وبحمدك) ليست في (س) (ع)، والحديث سيمر تخريجه ص(١٠٨).

فقد خرج بذلك[١] عن الغفلةِ وأهلها[٢]، فإنَّ الغفلة حجاب بينه وبين الله[٣].

وأتى بالتحية والثناء[٤] الذي يُخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيماً له وتمهيداً[٥]، وكان ذلك تمجيداً ومقدمة[٦] بين يدي حاجته.

فكان[٧] في الثناء من آداب[٨] العبودية، وتعظيم المعبود[٩] ما يستجلب به إقباله عليه، ورضاه عنه، وإسعافه بفضله حوائجه[١٠].

حال العبد في القراءة والاستعاذة

فإذا شرع في القراءة قدّم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[١١] فإنّه أحرص ما يكون على خُذلان العبد[١٢] في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبد[١٣] وأنفعها له[١٤] في دنياه وآخرته، فهو أحرص شيء على صرفه عنه، وانتفاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه[١٥] وعطّله، وألقى فيه الوساوس ليشغله

(١) (بذلك) سقطت من (ط) وفي (م) (ذلك).
(٢) (وأهلها) ليست في (ط).
(٣) العبارة في (ط): (الغفلة التي هي حجاب أيضاً بينه وبين الله).
(٤) (الثناء) بدلها في (م) (الدعاء).
(٥) في البقية (تمجيداً) بدل (تمهيداً).
(٦) العبارة من (ط) وفي البقية (وكان ذلك مقدمة).
(٧) في (م) (يدي حاجة فطال في الثناء) وفي (ع) (س) (..فكان في الثناء من..).
(٨) في (م) (ط) (أدب).
(٩) (وتعظيم المعبود) سقطت من (ط).
(١٠) في (م) (واستعاذ بقضاء حاجته إليه) وفي (ط): (واسعافه بحوائجه).
(١١) (الرجيم) ليست في (ط).
(١٢) في (م) (..عليه خذلان العبد) وفي (ط): (على العبد في مثل هذا المقام).
(١٣) في (ط): (مقاماته).
(١٤) (له) ليست في (م).
(١٥) في (ع) (من قلبه).

بذلك عن القيام بحق العبودية[(١)] بين يدي الرب تبارك وتعالى، فأمر[(٢)] العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له[(٣)] مقامه بين يدي ربه[(٤)] وليحيى قلبه، ويستنير بما يتدبره ويتفهمه مِنْ كلام الله سيّده[(٥)] الذي هو سبب حياة قلبه[(٦)]، ونعيمه وفلاحه، فالشيطان أحرص شيء على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.

ولما علم الله سبحانه وتعالى حَسَدَ[(٧)] العدو للعبد، وتفرّغه له[(٨)]، وعلم عجزَ العبد عنه[(٩)]، أمره بأن يستعيذ به سبحانه، ويلتجأ إليه[(١٠)] في صرفه عنه، فيكتفي بالاستعاذة مِنْ مؤونة محاربته ومقاومته، وكأنّه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو[(١١)]، فاستعذ بي[(١٢)] أعيذك منه، واستجر بي[(١٣)] أجيرك منه، وأكفيكه[(١٤)] وأمنعك منه.

(١) في (ط) (وعطله عن القيام بين يدي الرب) وفي (م) (الوسواس) بدل (الوساوس).
(٢) في (م) (قام) بدل (فأمر).
(٣) (في (م): بدل (ليسلم له) (ليسأله) وهو تحريف.
(٤) (بين يدي ربه) من (ط).
(٥) في (ع) (م) (كلامه الذي) وفي (س) (كلام الله) وفي (ط) (كلام سيده الذي).
(٦) في (ط) (سبب حياته ونعيمه).
(٧) في (ط) (حِدّ) وأظنه خطأ طباعي لأن رسم الكلمة قريب من (الحسد).
(٨) في (ع) (لفزعه له) وفي (ط) (وتفرغه للعبد).
(٩) في (م) (عن).
(١٠) في البقية (أن يستعيذ منه ويلتجأ إلى الله) والمثبت من (ط).
(١١) ومن الأدلة على ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي في «اليوم والليلة» قال الراوي: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابته، فقلت: تعس الشيطان، فقال: «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب».
(١٢) في (م) (فاستعذني).
(١٣) في (م) (فاستجرني).
(١٤) في (ط) (واستجر بي أكفكه) وفي (م) (وأكفلك).

نصيحة ابن تيمية لابن القيم

وقال لي شيخ الإسلام ابن تيمية[١] قدس الله روحه ونوّر ضريحه[٢] يوماً: إذا هاش[٣] عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته، ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب، ويكفيكه[٤].

فإذا استعاذ الإنسانُ بالله من الشيطان الرجيم[٥] أبعده[٦] عنه.

فأفضى القلب إلى معاني القرآن، ووقع في رياضه المونقة[٧] وشاهد عجائبه التي تبهر العقول، واستخرج مِنْ كنوزه وذخائره ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٨]، وكان الحائل بينه وبين ذلك، النفس والشيطان، فإن النفس منفعلة للشيطان[٩]، سامعة منه، مطيعة[١٠] فإذا بَعُدَ عنها وطُرد، ألمّ[١١] بها الملَكُ، وثبّتها وذكّرها بما فيه سعادتها ونجاتها.

---

(١) (ابن تيمية) ليست في (ط).

(٢) (ونور ضريحه) من (ع)، وهذه العبارة تدل على أنّ هذهِ الرسالة ألفت بعد وفاة شيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، وإن كنت أقول دائماً إن الإمام ابن القيم لم يؤلف شيء إلا بعد وفاة شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) في (م) (جاحش).

(٤) في (ط) (يصرف عنك الكلب) وفي (م) (يصرفه عنك ويكفيك) وفي (ع) (س) (يصرفه عنك ويكفيكه).
وهذه العبارة لم أجدها في مؤلفات شيخ الإسلام، فهي من السماعات والنصائح المباشرة لتلميذه، وقد مَنّ الله عليّ وجمعت كلام شيخ الإسلام في مؤلفات ابن القيم، وهي في مجلد، يسر الله نشرها.

(٥) (الرجيم) ليست في (م) (ط)

(٦) في (ط) (بعد منه).

(٧) في (م) (رياضته الموافقة).

(٨) (ولا خطر على قلب بشر) من (س).

(٩) في (ط) (والنفس منفعلة) وفي (م) (منفعلة بالشيطان).

(١٠) (مطيعة) من (ع)، وفي (ع) (سامعة مطيعة فإذا).

(١١) في (ط) (لم بها).

فإذا أخذ العبد[(١)] في قراءة القرآن، فقد قام في مقام مخاطبة ربّه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرّض لمقته وسخطه، بأنْ[(٢)] يناجيه ويخاطبه[(٣)]، وقلبه[(٤)] معرِض عنه، ملتفت إلى غيره، فإنّه يَستدعي بذلك مقتَهُ، ويكون بمنزلة رجل قرَّبَهُ ملك من ملوك الدنيا، وأقامه بين يديه[(٥)] فجعل يخاطب[(٦)] الملك، وقد ولّاه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمنة ويَسْرَة، فهو لا يفهمُ ما يقول الملك[(٧)]، فما الظن بمقت الملك لهذا.

فما[(٨)] الظن بمقت الملك الحق المبين رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين[(٩)].

حال العبد في الفاتحة

فينبغي بالمصلي أنْ يقفَ[(١٠)] عند كلّ[(١١)] آية من الفاتحة وقفة يسيرة[(١٢)]، ينتظر جوابَ ربّه له، وكأنّه يسمعه[(١٣)] وهو يقول: «حمدني عبدي» إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

---

(١) (العبد) ليست في (ط).
(٢) في (ط) (أن).
(٣) (ويخاطبه) ليست في (س).
(٤) في (ط) (وهو معرض عنه).
(٥) في (س) (وقربه بين يديه)، وفي (ط) (فأقامه بين يديه) وفي (م) (وأقام بين يديه).
(٦) في (ع) (ط) (يخاطبه).
(٧) (فهو لا يفهم ما يقول الملك) ليست في (ط).
(٨) في (م) بدل (فما) (في).
(٩) في (ط) (والأرض)، أو هي (فما) ولكن كتبت بشكل غير سليم.
(١٠) (فينبغي بالمصلي أن يقف) ليست في (ط) وكتب (وليقف)، وفي (ع) (للمصلي).
(١١) (كلّ) ليست في (م).
(١٢) (وقفة يسيرة) ليست في (ط).
(١٣) في (م) (سمعه).

فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ وقفَ لحظة ينتظر قوله: «أثنى عليَّ عبدي».

فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ انتظر قوله: «مجّدني عبدي».

فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾ انتظر قوله تعالى: «هذا بيني وبين عبدي».

فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ﴾ إلى آخرها انتظر قوله: «هذا[١] لعبدي ولعبدي ما قال»[٢].

ومَنْ ذاقَ طعم الصلاة عَلِمَ أنّه لا يقوم مقام التكبير والفاتحة غيرهما مقامها[٣]، كما لا يقوم غيرُ القيام والركوع والسجود مقامها[٤]، فلكلّ عبودية من عبودية الصلاة سرٌّ وتأثيرٌ وعبودية لا تحصل[٥] في غيرها، ثُمَّ لكلّ آية مِنْ آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخُصُّها لا يوجد في غيرها[٦].

فعند قوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ تجد تحت[٧] هذه الكلمة إثبات كلّ كمال للرب فعلاً، ووصفاً واسماً[٨]، وتنزيهه سُبحانه وبحمده[٩]

---

(١) في (ط) (هؤلاء لعبدي).

(٢) الحديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) في (ط) (..لا يقوم غير التكبير والفاتحة مقامهما).

(٤) في (ع) (س) واصل مخطوط (ط) (مقامهما) وفي (م) (مقاماً) والمثبت أثبته محقق (ط) وهو الصواب إن شاء الله.

(٥) ف ي(ع) (س) (لا توجد).

(٦) (لا يوجد في غيرها) ليست في (ط).

(٧) (تحت) ليست في (م).

(٨) (واسماً) ليست في (ع) (س).

(٩) (سبحانه وبحمده) من (ع).

عن كلِّ سوءٍ[١] وعيب، فعلاً ووصفاً واسماً[٢]، وإنما[٣] هو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، مُنزّه عن العيوب والنقائِصِ في أفعاله وأوصافه وأسمائه[٤].

فأفعاله كلّها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها[٥] أوصاف كمال، ونعوت جلال، وأسماؤه كلّها حُسْنَى.

من معاني الحمد

وحمده تعالى قد ملأ الدنيا والآخرة، والسماوات والأرض، وما بينهما وما فيهما، فالكون كلّه ناطق بحمده، والخلق والأمر كلّه صادر عن حمده، وقائم بحمده، ووجوده وعدمه بحمده، فحمْدُهُ هو سبب وجود كل شيء[٦] موجود، وهو غاية[٧] كل موجود، وكلّ موجود شاهد بحمده، فإرساله رسله بحمده، وإنزاله[٨] كتبه بحمده، والجنة عُمّرت بأهلها بحمده، والنار عُمّرت بأهلها بحمده، كما أنّهما إنّما وجدتا بحمده[٩].

وما أُطيع إلا بحمده، وما عُصي إلا بحمده، ولا تسقطُ ورقة إلا بحمده، ولا يتحرَّك في الكون ذرّة إلا بحمده، فهو سبحانه وتعالى المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد.

---

(١) في (م) (شر).
(٢) في (ع) (في أسماء الله) وفي (س) (وأسماء الله) وفي (م) (فعلاً ووصفاً).
(٣) في (ع) (س) (والآية فهو محمود) وفي (ط) (فهو محمود).
(٤) في (م) (وأشيائه).
(٥) قوله: (حكمة ورحمة -إلى قوله- وأوصافه كلها) من (ط).
(٦) العبارة في (ط) (وقائم بحمده ووجد، فحمده هو سبب وجود كل موجود).
(٧) في (م) (فاني).
(٨) في (ع) (فإرسال الرسل بحمده وإنزال الكتب) وفي (ط) و(إرساله رسوله) وفي (س) (فإرساله رسله بحمده وإنزاله الكتب).
(٩) (كما أنهما إنما وجدتا بحمده) ليست في (ط).

كما أنه هو[١] الواحد الأحد، وإنْ لم يوحِّده العباد، وهو[٢] الإله الحقُّ وإن لم يؤلِّهوه[٣]،سبحانه هو [٤] الذي حمِد نفسه على لسانِ الحامد[٥] كما قال النبي[٦] ﷺ: «إنَّ الله تعالى قالَ على لسانِ نبيهِ: سَمعَ اللهُ لمنْ حَمِده»[٧].

فهو الحامدُ لنفَسِهِ[٨] في الحقيقةِ على لسانِ عبدِهِ، فإنّه[٩] هو الذي أجرى الحمدَ على لسانِهِ وقلْبِهِ، وأجراؤه بحمده فله الحمد كلّه، ولهُ الملكُ كلّه، وبيدِهِ الخيرُ كلّه، وإليه يَرجِعُ الأمرُ كلّه، علانيته وسره[١٠].

فهذه المعرفة نبذة يسيرة من معرفة عبودية الحمد[١١]، وهي نقطة من بحر لُجّي من عبوديته[١٢].

ومن عبوديته أيضاً: أنّ يعلم أن حمده لربه نعمة مِنهُ عليه[١٣]، يستحق عليها الحمد، فإذا حمده عليها استحقّ على حمده حمداً آخر[١٤]، وهلُمَّ جرا.

(١) (هو) من (ط).
(٢) (وهو) ليست من (ط).
(٣) في (م) (س) (ع): (يألهه العباد).
(٤) في (ع) (م) (ط) (وهو سبحانه الذي).
(٥) في (ط) (لسان القائل الحمدلله رب العالمين) بدل (الحامد).
(٦) (النبي) ليست في (س).
(٧) الحديث أخرجه مسلم (٤٠٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.
(٨) (لنفسه) ليست في (س).
(٩) في (م) (كأنه).
(١٠) (علانيته وسره) ليست في (ط).
(١١) في (ط) (فهذهِ المعرفة من عبودية الحمد) وفي (س) (ع) (فهذهِ نبذة يسيرة من معرفة الحمد).
(١٢) (من عبوديته) من (ع) فقط.
(١٣) (عليه) ليست في (س).
(١٤) في (م) (..أثنى على حمده حمداً) وفي (ط) (استوجب عليه حمداً).

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلّها في حمد ربّه[١] على نعمة مِنْ نعمه، كان ما يجب عليه مِنَ الحمدِ عليها[٢] فوقَ ذلكَ، وأضعافَ أضعافِه[٣]، ولا يُحصي أحد البتةَ ثناءً عليه بمحامده[٤]، ولو حمده بجميع المحامد[٥] (فالعبد سائر إلى الله بكلِّ نعمة مِنْ ربِّه، يحمده عليها، فإذا حَمِدَهُ على صَرْفِها عَنْه، حَمْدَهُ على إلهامِهِ الحمدُ.

قال الأوزاعي: «سمعت بعض قوّالٍ يُنشِد في حمامٍ.

لكَ الحمدُ إمّا على نعمةٍ وإمّا على نقمة تُدفعُ[٦] »*.

ومن عبودية الحمدُ[٧]: شهودُ العبدِ لعجزه[٨] عن الحمدِ[٩]، وأنَّ ما قامَ به

---

(١) في (ط) (حمده) بدل (حمد ربه).

(٢) (عليها) ليست في (ط).

(٣) في (م) (وأضعاف أضعاف) وفي (ط) (وأضعافه).

(٤) (بمحامده) من (ط).

(٥) (ولو حمده بجميع المحامد) ليست في (ط).

(٦) ما بين ( ) من (م).

* قوَّال أي رجل لسن كثير القول.

وهذا القول شعر وجدته في ترجمة إبراهيم بن عبدالله بن مسلم الكجي في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٢٢) (أنه دخل حمام فسمع صوتاً يقول له: أسلم تسلم ثم أنشأ يقول:

لكَ الحمدُ إما على نعمة وإما على نقمة تدفع

تشاء فتفعل ما شئته وتسمع من حيث لا يُسمع

فبادرت وخرجت وأنا جزع فقلت للحمامي: أليس زعمت أنه ليس في الحمام أحد، فقال لي: هل سمعت شيئاً؟ فأخبرته بما كان. فقال لي: ذاك جني يتراءى لنا في كل حين وينشدنا الشعر..).

والذي جاء في (م) هو فقط: (لكَ الحمدُ إما على نعمة ، وإما على نقمة)، وكلمة (تُدفع) أضفتها من المصدر ليستقيم المعنى؛ لأن الحمد لا يكون على النقمة وإنما على النقمة المدفوعة.

(٧) في (ط) (العبد).

(٨) في (س) (ع) (عجزه).

(٩) ومنه قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «..لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

منه، فالربُّ سُبحانه هو الذي ألهمه ذلك، فهو محمود عليه[١]، إذ هو الذي أجراه[٢] على لسانه وقلبه[٣]، ولولا الله ما اهتدى أحد[٤].

ومن عبودية الحمدُ: تسليطُ الحمد[٥] على تفاصيل أحوال العبد كلّها ظاهرها وباطنها[٦] على ما يحب العبد منها وما يكره[٧]، بل على تفاصيل أحوال الخلق كلّهم، برِّهم وفاجرهم، علويهم وسفليهم[٨]، فهو سبحانه المحمود على ذلكَ كلّه في الحقيقة، وإن غاب عن شهودِ العبد حكمة ذلك[٩]، (وما يستحق[١٠] الرب تبارك وتعالى من الحمد على ذلك[١١] والحمدلله: هو إلهام من الله للعباد[١٢]، فمستَقِلٌ ومستكثِرٌ على قدر معرفة العبد بربه.

وقد قال النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فأقع ساجداً فيلهمني اللهُ محامدَ

(١) العبارة في (ط) (فالرب سبحانه هو المحمود عليه).
(٢) في (ط) (مجريه).
(٣) (وقلبه) ليست في (ع).
(٤) وقوله: (ولولا الله ما اهتدى أحد) ليست في (ط).
(٥) في (ط) (ومن عبوديته تسليط الحمد)، وفي (س) (ومن عبوديته الحمد تسليط) وفي (ع) (ومن عبوديته الحمد تسليطه).
(٦) في (ط) (ظاهرة وباطنة).
(٧) في (ط) (وما يكرهه).
(٨) قوله: (بل على تفاصيل -إلى قوله- وسفليهم) ليست في (ط).
(٩) في (ع) (شهود الخلق حكمة) وفي (ط) (شهود العبد).
(١٠) في (ع) (يستحقه).
(١١) في (ع) (على ذلك من الحمد والحمدلله هو إلهام) وفي (س) (على ذلك والحمد لله هو إلهام) وفي (م) (من الحمد على ذلك رأى حمده لله هو).
(١٢) في (م) (للمرء).

أحمده بها[١] لم تخطر على بالي قط»)[٢].

عبودية رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ثم لقول[٣] العبد: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ من العبودية شهود تفرّدِه[٤] سبحانه بالربوبية وحده، وأنّه كما أنّه رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، ومدبّر أمورهم، وموجدهم، ومغنيهم، فهو أيضاً وحده إلههم[٥]، ومعبودهم، وملجأهم ومفزعهم عند النوائب، فلا ربَّ غيره، ولا إله سواه.

عبودية ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ولقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ عبودية تخصّه[٦] سبحانه، وهي شهود العبد[٧] عموم رحمته.

وشمولها[٨] لكلّ شيء، وسعتها لكلِّ مخلوق[٩] وأخذ كلّ موجود بنصيبه منها، ولا سيما[١٠] الرحمة[١١] الخاصّة بالعبد وهي التي أقامته[١٢] بين يدي

---

(١) (بها) ليست في (م).

(٢) ما بين ( ) ليست في (ط) وهو من قوله (وما يستحق الرب..) إلى هنا.

* والحديث رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣، ١٩٤)، وهو جزء من حديث الشفاعة المعروف.

(٣) في (م) (قال العبد) وفي (ط) (لقوله).

(٤) في (ع) (انفراده).

(٥) في (س) (فهو أيضاً وحده هو إلههم) وفي (م) (ط) (فهو وحده إلههم).

(٦) في (ط) (تخصها).

(٧) (العبد) ليست في (ط).

(٨) في (م) طمس، وفي (ط) ليست موجودة.

(٩) في (ط) (لكل شيء).

(١٠) في (ط) و(أدنى الرحمة).

(١١) (الرحمة) ليست في (ع) (س).

(١٢) في (ط) (التي أقامت عبده بين يديه) وفي (م) (وهي أدنى [بياض] بين يديه).

ربه: أقم فلاناً -ففي بعض الآثار أن جبرائيل يقول كل ليلة أقم فلاناً-[١]، وأنم فلاناً فبرحمته للعبد أقامه في[٢] خدمته يناجيه بكلامه، ويتملقه ويسترحمه ويدعوه ويستعطفه[٣] ويسأله هدايته ورحمته، وتمام نعمته عليه دنياه وأخراه[٤] فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء، كما أنَّ حمده وسع كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ[٥] رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧]، وغيره مطرود محروم قد فاتته هذه الرحمة الخاصّة فهو منفي عنها[٦].

عبودية مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

ويعطى قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ عبوديته[٧] من الذلِّ والانقياد، وقصد العدل والقيام بالقسط، وكفُّ العبد نفسه[٨] عن الظلم والمعاصي[٩]، وليتأمل ما تضمنته من إثبات المعاد[١٠] وتفرُّد الربِّ في ذلك[١١] بالحكم بين

(١) ما بين الشارحتين من (س) وفي (ع) (م) (يدي ربه أقم فلاناً وانم فلاناً)، وقد كتبت في هامش النسخة، فلعلها من المصحح، وهذا الأثر لم أجده على كثرة البحث، والله المستعان.
(٢) في (ع) (فبرحمته لعبده أقامه وفي خدمته) وقد سقطت من (ط).
(٣) (ويسترحمه) سقطت من (م) وفي (ط) سقطت (ويدعوه ويستعطفه).
(٤) في (س) (وتمام نعمته عليه في دنياه وآخرته) وفي (م) (وتمام نعمته عليه دنيا وآخرة) وفي (ط) (وإتمام نعمته عليه).
(٥) (ربنا وسعت كل شيء) ليست في (م).
(٦) قوله (وعلمه وسع -إلى قوله- منفي عنها) ليست في (ط).
(٧) في (ط) (عبوديتها).
(٨) في (م) (وكل نقمة على الظلم والمعاصي) وفي (ع) (وكف نفسه عن الظلم..).
(٩) قوله (من الذل -إلى قوله- والمعاصي) ليست في (ط).
(١٠) في (ع) (وليتأمل تضمنه اثبات المعاد) وفي (م) (وليتأمل تضمنه بإثبات الميعاد)، وفي (ط) (ويتأمل تضمنها لإثبات المعاد).
(١١) بدل (في ذلك) في (ط) (فيه).

خلقه، وأنّه يومٌ يدين الله فيه الخلق[١] بأعمالهم من الخير والشر، وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه[٢] (كما قال تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥])[٣].

(ويروى[٤] أنّ جميعَ الخلائق يَحمِدونه يومئذٍ أهلَ الجنةِ وأهلَ النارِ، عَدلاً وفضلاً، ولما كانَ قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾)[٥].

إخباراً عن حمدِ عبدِه له[٦] قال: حمدني عبدي.

ما معنى (الثناء) (التمجيد)

ولما كانَ قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إعادة وتكريراً لأوصاف كماله قال: «أثنى عليَّ عبدي»، فإنَّ الثناءَ إنّما يكون بتكرار الحامد، وتعداد أوصاف المحمود، فالحمد[٧] ثناء عليه، و﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وصفه بالرحمة[٨].

ولما وصف العبد[٩] ربه بتفرُّده بملك يوم الدين وهو[١٠] الملك الحق،

---

(١) بدل (الخلق) في (ط) (العباد).

(٢) في (م) بدل (وموجبه) (ومن محبته).

(٣) ما بين ( ) ليست في (ط) وكتب بدله (ولما كان قوله الحمد لله رب العالمين أخباراً عن حمده تعالى قال الله حمدني).

(٤) في (س) (أي) وهذهِ الرواية لم أجدها، وهذا قصور منّي، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٥) قوله (ويروى أنَّ –إلى قوله– ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) ليست في (م).

(٦) (له) من (م).

(٧) في (س) (فإن الحمد).

(٨) قوله (فالحمد ثناء –إلى قوله– بالرحمة) ليست في (ط).

(٩) في (ط) (ولما وصفه سبحانه بتفرده) وفي (ع) (..بتفرده بمالك..) وفي (م) (..ربه تفرده).

(١٠) (وهو) ليست في (م).

مالك الدنيا والآخرة؛ وذلك[١] متضمّن لظهور عدله، وكبريائه وعظمته، ووحدانيته، وصدقَ رُسله، سمّى هذا الثناء مجداً فقال: «مجّدني عبدي» فإنّ التمجيد هو: الثناء بصفات العظمة، والجلال، والعدل، والإحسان[٢].

عبودية إِيَّاكَ نَعْبُدُ

فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ انتظر جواب ربه له: «هذا[٣] بيني وبينَ عبدي، ولعبدي ما سأل».

وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما، وميِّز الكلمة التي لله سبحانه وتعالى[٤]، والكلمة التي للعبد، وفِقهِ[٥] سرَّ كونِ إحداهما لله، والأخرى للعبد، وميّز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والتوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾، وفِقْهَ[٦] سرَّ كونَ هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء[٧] قبلهما، والدعاء بعدهما، وفِقْهِ[٨] تقديم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾، وتقديم المعمول على العامل[٩] مع الإتيان به مؤخراً أوْجَزَ وأخصر[١٠]، وسرَّ إعادة الضمير مرّة بعدَ مرّة.

---

(١) قوله (مالك -إلى قوله- وذلك) ليست في (ط).
(٢) (والعدل والإحسان) ليست في (ط).
(٣) في (ع) (ربه: هذه بيني).
(٤) في (م) (للرب).
(٥) في (ع) (وأفقه).
(٦) نفس التعليق السابق.
(٧) يقصد بنوعي الثناء قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝﴾.
(٨) في (ع) (وأفقه).
(٩) في (ط) (س) (م) (القول) وصلحها محقق (ط) إلى (العقل) وكلاهما غير دقيق.
(١٠) في (ع) (س) (م) (الإتيان به ملخصاً موجزاً ومختصراً).

تقديم العبادة على الاستعانة

قلت: أراد تقديم العبادة -وهي العمل- على الاستعانة، فالعبادة لله والاستعانة للعبد[١]، فالله هو المعبود، وهو المستعان على عبادته، فإياك نعبد؛ أي إياك أريد بعبادتي[٢]، وهو يتضمن العملُ الصالح الخالص[٣]، والعلم النافع الدال[٤] على الله، معرفة ومحبة، وصدقاً وإخلاصاً، فالعبادة حق الرب تعالى على خلقه[٥]، والاستعانة تتضمن استعانة العبد بربه على جميع أموره، وهي القول المتضمن قسم العبد.

فكلّ عبادة لا تكون لله وبالله[٦] فهي باطلة مضمحلة، وكلّ استعانة لا تكون بالله وحده[٧] فهي خذلانٌ وذُل[٨].

وتأمّل[٩] علم[١٠] ما ينفع العباد[١١] وما يدفع عنهم كلّ واحدٍ مِنْ هاتين[١٢] الكلمتين مِنَ الآفة المنافية للعبودية نفعاً ودفعاً[١٣] وكيف تدخل

(١) في (س) (م): (فالعبادة لله والاستعانة للعبد).

(٢) (بعبادتي) ليست في (م).

(٣) في (س) (وهو العلم..).

(٤) في (م) بياض بدل (الدال).

(٥) في (م) (عبده).

(٦) في (ع) (وبالسر فهي).

(٧) (وحده) ليست في (م).

(٨) كتب ابن القيم بحثاً رائعاً في «مدارج السالكين» (١/ ٩٧-٩٨) أثبته في الملحق رقم (٢)

(٩) في (م) زيادة كلمة (قال).

(١٠) في (م) (وتأمل أن ما).

(١١) ما بين ( ) سقط في (ط) وكتب وعلم ما تدفع.

(١٢) (هاتين) ليست في (ط).

(١٣) في (م) كلمة مطموسة. وفي (ط) العبارة (للعبودية وكيف تدخله الكلمتان في صريح العبودية).

العبد هاتان[1] الكلمتان في صريح العبودية.

القرآن مداره على هذه الكلمة

وتأمل[2] عِلمَ كيف يدور القرآن كلّه مِنْ أوّله إلى آخره عليهما[3]، وكذلك[4] الخلق، والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمّنتا لأجلّ[5] الغايات، وأكمل الوسائل، وكيف أتى[6] بهما بضمير المخاطب الحاضر[7]، دون ضمير[8] الغائب، وهذا موضوع يستدعي كتاباً كبيراً، ولولا الخروج عما نحن بصدده لأوضحناه وبسطناه[9]، فمن أراد الوقوف عليه فقد ذكرناه في كتاب: «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»[10] وفي كتاب «الرسالة المصرية»[11].

ضرورة العبد لقوله ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ

ثم ليتأمل العبد[12] ضرورته وفاقته[13] إلى قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الذي مضمونه معرفة الحق، وقصده وإرادته والعمل به، والثبات عليه،

---

(١) (هاتان) من (س).
(٢) (وتأمل) ليست في (ط).
(٣) في (ط) بدل عليهما (على هاتين الكلمتين).
(٤) بدل (كذلك) في (ط): (بل كيف عليهما الخلق).
(٥) في (س) (تضمنت أجل).
(٦) في (ك) (جاء).
(٧) في (ط) (الخاطب الحاضر).
(٨) (ضمير) ليست في (م).
(٩) في (ط) (وبسطنا القول فيه).
(١٠) هو كتاب «مدارج السالكين» وقد تكلم عن هذا الموضوع في (١/ ٨٥) ط قديمة (١/ ١٦٢-١٦٦) ط.جديدة
(١١) لم أجد كتاب لابن القيّم بهذا الاسم، وقد تكلّم ابن القيم عن هذه الآية في كتابه «الصلاة وحكم تاركها» (٢٠١-٢٠٦)، فلعلّ هذا الكتاب اسمه «الرسالة المصرية».
(١٢) في (ط) (ثم تأمل ضرورته).
(١٣) في (م) كلمة مطموسة.

والدعوة إليه، والصبر على أذى المدعو إليه[١] فباستكمال هذه المراتب الخمس[٢] يستكمل العبد الهداية[٣] وما نقص منها نقص من هدايته.

أنواع الهدايات التي يفتقر لها العبد

ولما كان العبد مفتقراً إلى هذه الهداية في ظاهره وباطنه، بل وفي[٤] جميع ما يأتيه، ويذَرُه من:

- أمورٍ فعلها[٥] على غير الهداية علماً وعملاً وإرادة، فهو محتاج إلى التوبة منها وتوبته منها هي من[٦] الهداية.
- وأمور قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها[٧].
- وأمور قد هُدي إليها من وجهٍ دون وجهٍ، فهو محتاج إلى تمام[٨] الهداية في كمالها على الهدى المستقيم، وأن يزداد هدى إلى هداه[٩].

---

(١) (إليه) ليست في (ط).

(٢) في (م) (س) (ع) (الخمسة)، والمراتب الخمسة هي:

١. معرفة الحق، وقصده وإرادته.
٢. والعمل به.
٣. والثبات عليه.
٤. والدعوة إليه.
٥. والصبر على أذى المدعو إليه.

(٣) في (ط) (تستكمل الهداية).

(٤) في (ط) (وباطنه في جميع).

(٥) في (ط) (أمور قد فعلها).

(٦) (من) ليست في (ط).

(٧) هذه الفقرة من قوله: (وأمور قد -إلى قوله- هداية تفاصيلها) من (ط) فقط.

(٨) في (م) (ثمار).

(٩) في (ط) (فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها لتتم له الهداية ويزداد هدى إلى هداه).

- وأمورٌ هو[١] محتاج فيها إلى[٢] أن يحصل له من الهداية في مستقبلها مثل ما حصل له في ماضيها.
- وأمور هو خال[٣] عن اعتقاد فيها فهو محتاج إلى الهداية فيها اعتقاداً صحيحاً[٤].
- وأمور يعتقد فيها خلاف[٥] ما هي عليه، فهو محتاج إلى هداية تنسَخُ من قلبه ذلك الاعتقاد الباطل[٦]، وتُثبتُ فيه ضدّه[٧].
- وأمور من الهداية: هو قادر عليها، ولكنْ لم يخلق له إرادة فعلها، فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق إرادة[٨].
- وأمور منها: هو غير قادر على فعلها مع كونه مريد لها، فهو محتاج في هدايته إلى إقدار عليها[٩].
- وأمور منها: هو غير قادر عليها ولا مريد لها، فهو محتاج إلى خلق القدرة عليها والإرادة لها لتتم له الهداية[١٠].

---

(١) (هو) ليست في (ط).
(٢) (إلى) ليست في (م).
(٣) بدل (خال) في (م) قال.
(٤) قوله: (وأمور هو -إلى قوله- اعتقاداً صحيحاً) ليست في (ط).
(٥) في (ط) (بخلاف).
(٦) (الباطل) ليست في (ط).
(٧) في (ع) (عنده).
(٨) قوله: (فعلها فهو-إلى قوله- خلق إرادة) من (ط) فقط.
(٩) العبارة في (م) جاءت محرفة (وأمور منها هو قادر عليها..) وهي ليست في (س) (ع).
(١٠) العبارة في (م) (إلى خلق الإرادة عليها والإرادة لها تتم له بالهداية)، وفي (ط) (خلق القدرة والإرادة له لتتم له الهداية).

• وأمور: هو قائم بها على وجه الهداية اعتقاداً وإرادة، وعلماً وعملاً[١]، فهو محتاج إلى الثبات عليها واستدامتها، فكانت[٢] حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات، وفاقته إليها أشد الفاقات؛ ولهذا[٣] فرض عليه[٤] الرب الرحيم هذا السؤال على العبيد كلّ يوم وليلة في أفضل أحواله، وهي الصلوات الخمسُ، مراتٍ متعددة؛ لشدّة ضرورته وفاقته إلى هذا المطلوب[٥].

ثم بيّن أن سبيل أهل هذه[٦] الهداية مغاير لسبيل أهل الغضب وأهل الضلال، وهم اليهود، والنصارى وغيرهم[٧].

الخلق أمام الهداية ثلاثة أقسام

فانقسم الخلق إذن[٨] إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى هذه الهداية:

مُنعم عليه: بحصولها له واستمرارها وحظّه من المنعم عليهم[٩]، بحسب حظّه من تفاصيلها وأقسامها.

وضالّ: لم يُعطَ هذه الهداية ولم يُوفقَ لها.

ومغضوب عليه: عَرفها ولم يوفق للعمل بموجبها.

فالضال: حائد[١٠] عنها، حائر لا يهتدي إليها سبيلا.

---

(١) علماً وعملاً ليست في (ط).
(٢) في الجميع (كانت) ووضعنا الفاء ليستقيك السياق.
(٣) (ولهذا) ليست في (ط).
(٤) (عليه) من (ط).
(٥) قوله: (الخمس -إلى قوله- هذا المطلوب) من (ط).
(٦) في (ع) (سبيل الهداية).
(٧) قوله: (وهم اليهود والنصارى وغيرهم) ليست في (ط).
(٨) (إذن ثلاثة) من (ط) وفي البقية (الخلق إلى ثلاثة).
(٩) في (ط) بدل (المنعم عليهم) (النعم).
(١٠) في الأصول المخطوط (حائر) بالراء، ولعل ما أثبته أقرب للمعنى.

والمغضوب عليه: متحيّر منحرف عنها؛ لانحرافه عن الحق بعد معرفته به مع علمه بها[(١)].

فالأول المنعم عليه[(٢)] قائم[(٣)] بالهدى، ودين الحق علماً وعملاً واعتقاداً[(٤)] والضال عكسه، منسلخ منه علماً وعملاً[(٥)].

والمغضوب عليه[(٦)] لا يرفع فيها رأساً، عارف به علماً منسلخ عملاً، والله الموفق للصواب[(٧)].

ولولا أنَّ المقصود التنبيه[(٨)] على المضادة[(٩)] والمنافرة التي بين ذوق الصلاة، وذوق السماع، لبسطنا هذا الموضوع بسطاً شافياً، ولكن لكلٍّ مقام مقال، فلنرجع إلى المقصود.

وشرع له[(١٠)] التأمين في آخر هذا الدعاء[(١١)] تفاؤلاً بإجابته[(١٢)]، وحصوله، عبودية التامين ورفع اليدين

(١) قوله: (فالضال حائد -إلى قوله- علمه بها) ليس في (ط).
(٢) في (س) (عليهم).
(٣) في (ط) (قام) أما في (س) فلا توجد.
(٤) (واعتقاداً) ليست في (ط).
(٥) في (س) (والضال والمغضوب عليه لا يرفع..) وفي (م) (ع) (والضالة عكسه) وفي (ط) (والضال منسلخ عنه علماً وعملاً).
(٦) (عليه) ليست في (م).
(٧) في (ط) جاءت العبارة (والمغضوب عليه عارف به علماً منسلخ منه عملاً والله الموفق للصواب)، وفي (م) (والمغضوب لا يرفع فيها رأساً) وفي (س) (ع): (والمغضوب عليه لا يرفع فيها رأساً) والمثبت مجموع من الكل.
(٨) (التنبيه) من (ط).
(٩) في (م) (المضرة).
(١٠) في (س) (لنا).
(١١) في (م) (له التأمين عند هذا الدعاء) وفي (م) (التأمين في آخر الدعاء).
(١٢) في (م) (واجابته وحصوله).

وطابعاً عليه، وتحقيقاً له[١]، ولهذا اشتد حسدُ اليهود للمسلمين عليه حين سمعوُهُم يجهرون به في صلاتهم[٢].

ثم شرعَ له رفعَ اليدين عند الركوع تعظيماً لأمر الله، وزينةً للصلاة، وعبودية خاصّةً لليدين كعبودية باقي الجوارح[٣]، واتباعاً لسنّة رسول الله ﷺ[٤] فهو حِليةُ الصلاة، وزينتها وتعظيمٌ لشعائرها[٥].

ثم شَرع له التكبير الذي هو[٦] في انتقالات الصلاة من رُكن إلى رُكن، كالتلبية في انتقالات الحاجِّ، مِنْ مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة، كما أن التلبية شعار الحج[٧]، ليعلمَ العبدُ أنَّ سر الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده.

---

(١) قال محقق (ط): في الأصل (وتيقناً) لذلك رجح محقق «كشف الغطا» (وتيقناً) وكتب عن الفرق بين (التحقق) و(التيقن). قلت: كلا المعنيين صحيح لأنه قال: تفاؤلاً؛ أي هو متفائل بتحقق ما طلب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى حديث: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» رواه ابن ماجه (٨٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٥٤٠)، وابن خزيمة (٥٧٤، ١٥٨٥)، وسنده صحيح، صححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٢٧)، والألباني رحمهم الله جميعاً.
وهناك رواية أخرى عن عائشة أيضا ولفظها: «إنهم لم يحسدونا على شيء.. وعلى قولنا خلف الإمام آمين» رواها أحمد (٦/ ١٣٤)، والبيهقي (٢/ ٥٦)، وسندها حسن.
والحديث مروي عن ابن عباس عند ابن ماجه (٨٥٧) وسنده ضعيف جداً.

(٣) قوله: (وزينة للصلاة -إلى قوله- باقي الجوارح) ليست في (م).

(٤) في (س) (ط) (ع): (واتباعاً للسنة).

(٥) للإمام ابن القيّم رسالة قيمة في مجلد، لا تزال مخطوطة عن «رفع اليدين في الصلاة» وهي عندي قيد التحقيق عن نسخة فريدة، يسر الله لنا نشرها.

(٦) (هو) من (ط).

(٧) في (م) (الحاج).

عبودية الركوع

ثم شرَعَ له بأنْ يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعاً لعظمة ربه[١]، واستكانة لهيبته وتذللاً لعزته[٢].

فثناء العبد على ربه في هذا الركن؛ هو أن يحني له[٣] صلبه، ويضع له قامته وينكس له رأسه، ويحني له ظهره[٤]، ويكبره[٥] مُعظماً له، ناطقاً بتسبيحه، المقترن بتعظيمه.

فاجتمع له خضوع القلب، وخضوع الجوارح، وخضوع القول على أتم الأحوال، ويجتمع[٦] له في هذا الركن[٧] من الخضوع والتواضع[٨] والتعظيم والذكر ما يفرق به بين الخضوع لربه، والخضوع للعبيد بعضهم لبعض[٩]، فإنّ[١٠] الخضوع وصف العبد، والعظمة وصف الرب.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغَر الراكع[١١]، ويتضاءل لربه[١٢]، بحيث يمحو تصاغُرُه لربه من قلبه كلَّ تعظيم فيه لنفسه، ولخلقه ويثبت مكانه

(١) في (ط) لعظمته.
(٢) في (م) (واستكانة وتزهداً، لعزته).
(٣) (له) ليست في (س) والعبارة في (ط) (فثنى العبد له صلبه).
(٤) قوله: (وينكس له رأسه ويحنى له ظهر) من (ط) وجاءت بالفعل الماضي، فحولتها للمضارع لتستقيم الجمل.
(٥) (ويكبره) ليست في (ط).
(٦) في (ط) (وجمع).
(٧) في (ط) (الذكر).
(٨) (التواضع) ليست في (ط)
(٩) العبارة في (ط) هي (والتعظيم لربه والتنزيه له عن خضوع العبيد).
(١٠) في (ط) (وإن).
(١١) في (ط) (العبد).
(١٢) (لربه) ليست في (ط).

تعظيمه ربه وحده لا شريك له[١].

إذا عظم القلب الرب خرج تعظيم الخلق

وكلما استولى على قلبه تعظيم الربّ، وقوى خرج منه تعظيم الخلق، وازداد[٢] تصاغره هو عند نفسه فالركوع للقلب بالذات، والقصد والجوارح بالتبع والتكملة.

ثم شرع له[٣] أن يحمد ربه، ويثني عليه بآلائه[٤] عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيئاته، منتصب القامة معتدلها فيحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن تقويم[٥]، بأن وفّقه وهداه لهذا الخضوع[٦] الذي قد حرمه غيره.

عبودية القيام

ثم نقله[٧] منه إلى مقام الاعتدال والاستواء، واقفاً في خدمته، بين يديه كما كان في حالة القراءة في ذلك[٨]، ولهذا شرع له من الحمد والمجد نظير ما شرع له من حال القراءة في ذلك[٩].

ولهذا[١٠] الاعتدال ذوقٌ خاص وحال يحصل للقلب، ويخصه سوى ذوق الركوع وحاله، وهو ركن مقصود لذاته كركن الركوع والسجود سواء.

(١) في (ط) (..تصاغره كل تعظيم منه لنفسهِ ويثبت مكانه تعظيمه لربه)
(٢) في (ط) (تعظيم الرب ازداد تصاغره).
(٣) (له) ليست في (م).
(٤) في (م) (س) (بالآية) وهو تحريف.
(٥) قوله: (ويثني عليه -إلى قوله- تقويم) ليس في (ط).
(٦) في (ط) (وفقه لذلك الخضوع).
(٧) في (ع) (فعله).
(٨) (في ذلك) من (م) فقط.
(٩) قوله: (ولهذا شرع -إلى قوله- ذلك) من (س) (ع).
(١٠) في (ط) ولذلك.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يُطيلُهُ كما يطيلُ الركوع والسجود، ويُكثر فيه من الثناءِ والحمد والتمجيد، كما ذكرناه في هديه ﷺ في صلاته[(١)] وكان في قيام الليل يُكثر فيه من قول: «لربي الحَمْدُ، لربي الحَمْد»[(٢)] ويكرِّرُها.

عبودية السجود

ثم شرع له أن يكبر ويدنو ويخرَّ ساجداً[(٣)]، ويعطي في سجودِهِ كل عضوٍ من أعضائِهِ حظَّهُ من العبودية، فيضع ناصيَتَهُ بالأرض بين يدي ربه، مسندة راغماً له أنفه، خاضعاً له قلبه[(٤)]، ويضع أشرف ما فيه -وهو وجهه- بالأرض ولا سيما وجه قلبه مع وجهه الظاهر ساجداً على الأرض معفّراً له وجهه وأشرف ما فيه[(٥)] بين يدي سيده، راغماً أنفه، خاضِعاً له قلبُهُ وجوارحه، متذلّلاً لعظمة ربه[(٦)]، خاضعاً لعزّته، منيباً[(٧)] إليه، مستكيناً ذلاً وخضوعاً وانكساراً، قد صارت أعاليه ملويَةً لأسافله[(٨)].

(١) في (ع) (هدايته) وفي (ط) فقط (ﷺ) دون (في صلاته)، وقد تكلّم عنه في كتابه «زاد المعاد» (١/ ٢٢٠-٢٢١).

(٢) في (ط) فقط (لربي الحمد) مرتين.

والحديث عن حذيفة ﷺ أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦٥٦، ٧٣١، ١٣٧٩)، وفي الصغرى (المجتبى) (٢/ ١٩٩، ٢٣١)، وأحمد (٥/ ٣٩٨)، والطيالسي (٤١٦)، وابن المبارك في الزهد (١٠١)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣١٣)، وعلي بن الجعد في مسنده (٨٧)، والبيهقي في سننه الصغرى (٤٣١) والحديث صحيح.

(٣) العبارة في (ط) (شرع له أن يكبر ويخِر ساجداً) وفي البقية (شرع له أن يدنو ويخر ساجداً).

(٤) قوله (مسنده راغماً -إلى قوله- قلبه) من (ط).

(٥) قوله: (وهو وجهه -إلى قوله- ما فيه) من (ع) (س) وفي (ط) (وهو وجهه بالأرض وسيما على التراب معفراً له)

(٦) في (ط) (لعظمته).

(٧) (خاضعاً لعزته) من (ط) بدل (منيباً).

(٨) (ملوية) من (ط) فقط، والعبارة في (ط) معكوسة (قد صارت أعاليه ملوية لأسافله ذلاً وخضوعاً وانكساراً).

وقد طابق[(١)] قلبُهُ في ذلك حال جسده[(٢)]، فسجد القلب للرب[(٣)] كما سجد الجسد بين يدي الله[(٤)]، وقد سجد معه أنفُهُ ووجهه[(٥)]، ويداه وركبتاه، ورجلاه فهذا العبد هو القريب المقرّب فهو أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد[(٦)].

وشَرع له أن يُقلّ[(٧)] فخِذَيه عن ساقيه، وبطنه عن فخِذَيه وعَضُدَيهِ عن جَنبيه، ليأخذ كل جزءٍ منه حظّه من الخضوع لا يحملَ بعضَهُ بعضاً.

فأخْرِ به[(٨)] في هذه الحال أن يكون أقرب إلى ربه منه في غيرها من الأحوال كلّها[(٩)]، كما قال النبي ﷺ: «أقْرَبُ ما يكُونُ العبدُ مِنْ ربِّه وهُوَ ساجِدٌ»[(١٠)].

ولما كان سجود القلب خضوعه التام لربّه أمكنه[(١١)] استدامة هذا السجود إلى يوم القيامة[(١٢)]، كما قيل لبعض السلف:

هل يسجد القلب؟

---

(١) في (م) (وكان حال قلبه في ذلك..).

(٢) في (ط) (جسمه).

(٣) في (م) (لربه) وفي (ط) لا توجد.

(٤) العبارة في (ط) (كما سجد الوجه).

(٥) (ووجهه) ليست في (ط).

(٦) قوله (فهذا العبد -إلى قوله- ساجد) ليست في (ط).

(٧) يُقلّ: يرفع كما في النهاية لابن الأثير (٤/ ١٠٤).

(٨) (به) من (ط) فقط.

(٩) (كلها) ليست في (ط).

(١٠) الحديث رواه مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(١١) في (م) (أمكن).

(١٢) في (ط) (يوم لقائه).

قال: «أي والله سجدةً لا يرفع رأسَه منها حتى يلقى الله عزَّ وجل»[١].

الصلاة مبناها على خمسة أركان

إشارة إلى إخبات[٢] القلب، وذلّه، وخضوعه، وتواضعه وإنابته وحضوره مع الله أينما كان[٣]، ومراقبته له في الخلاء والملأ[٤]، ولما بنيت الصلاة على خمس: القراءة والقيام والركوع والسجود والذكر.

سمّيت باسم كل واحد من هذه الخمس:

فسمّيت «قياماً» لقوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل:٢]،وقوله:﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]

و«قراءة» لقوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨][٥]، ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل:٢٠].

وسمّيت «ركوعاً» لقوله: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المرسلات:٤٨].

و«سجوداً» لقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر:٩٨]، وقوله: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق:١٩]

---

(١) هذا القول عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية لسهل بن عبدالله التستري كما في مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٨٧) (٢٣/ ١٣٨)، وفي رسالة «قنوت الأشياء كلها لله»، والتي نشرها الدكتور الفاضل محمد رشاد سالم رحمه الله في كتابه «جامع الرسائل» (١/ ٤٥).
وذكرها ابن القيم في كتاب «الروح» (٢٣٢)، و«طريق الهجرتين» (٣٢١، ٤٥٥)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٢٩)، وعزاه مرّة لبعض العارفين.
(٢) في (م) كلمة مرسومة قريبة من (جنان) وفي (ع) (إخبار) وكلها تحريف.
(٣) (أينما كان) ليست في (ع).
(٤) قوله: (إشارة إلى -إلى قوله- والملأ) ليست في (ط).
(٥) هذه الآية ليست في (م).

و«ذكراً» لقوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩].

وأشرف أفعالها السجود، وأشرف أذكارها القراءة، وأول سورة أنزلت على النبي ﷺ سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[١] افتُتِحَتْ بالقراءة، وخُتمت بالسجود، فوضِعت الركعة على ذلك، أولها قراءة وآخرها سجود.

حال العبد بين السجدتين

ثم شرع له أن يرفع رأسه، ويعتدل جالساً، ولما كان هذا الاعتدال محفوفاً بسجودين؛ سجود قبله، وسجود بعده، فينتقل من السجود إليه، ثم منه إلى السجود الآخر، كان له شأن، فكان رسول الله ﷺ يطيل الجلوس[٢] بين السجدتين بقدر السجود يتضرع إلى ربه فيه، ويدعوه[٣] ويستغفره، ويسأله رحمته، وهدايته ورزقه وعافيته[٤]، وله ذوق خاص، وحال للقلب غير ذوق[٥] السجود وحالهن؛ فالعبد في هذا القعود يتمثّل جاثياً بين يدي ربه، مُلقياً نفسه بين يديه، مُعتذراً إليه مما جناه، راغباً إليه أن يغفر له ويرحمه، مستَعْدِياً له[٦] على نفسه الأمّارة بالسوء.

---

(١) قوله: (سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) ليست في (ط) وكلمة (سورة) من (م) فقط.
(٢) (الجلوس) من (ع) (س).
(٣) (ويدعوه) ليست في (ط).
(٣) يشير إلى الحديث المعروف، الذي رواه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٨٩٨)، وأحمد (١/ ٣١٥، ٣٧١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٢/ ١٢٢)، والحاكم (٩٦٤/ ١٠٠٤)، والطبراني في الكبير (١٢٣٦٣)، وغيرهم والحديث مداره بين الحسن والضعف، للتفصيل انظر الملحق رقم (٣).
(٥) المثبت من (ط) وفي البقية (حال).
(٦) (له) ليست في (ط)

لماذا الاستغفار بين السجدتين

وقد(١) كان النبي ﷺ يكرر الاستغفار في هذه الجلسة فيقول: «رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي»(٢)، ويكثر من الرغبة فيها إلى ربه.

فمثّل أيها المصلّي نفسك فيها بمنزلة غريم عليه حق(٣)، وأنت كفيل به، والغريم مماطِل مخادع، وأنت مطلوب بالكفالة، والغريم مطلوب بالحق، فأنت تستعدي عليه حتى تستخرج(٤) ما عليه من الحق؛ لتتخلص(٥) من المطالبة، والقلب شريك النفس في الخير والشر، والثواب والعقاب، والحمد والذم.

والنفس من شأنها الإباق والخروج من رقّ العبودية، وتضييع حقوق الله عز وجل وحقوق العباد(٦) التي قبلها، والقلب شريكها إن قوي سلطانها وأسيرها، وهي شريكته وأسيرته إن قوي سلطانه(٧).

فشُرع للعبد إذا(٨) رفع رأسه من السجود أن يجثو بين يديّ الله(٩) تعالى

---

(١) في (ط) (وكان).

(٢) قوله: (فيقول: رب اغفر لي رب اغفر لي رب اغفر لي) ليست في (ط). والحديث أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي في الكبرى (٦٥٦، ٧٣١، ١٣٧٨، ١٣٧٩)، وفي المجتبى (١/ ٢٣١،٢٠٠)، وابن ماجه (٨٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٩٨)، والطيالسي (٤١٥)، والدارمي (١٢٣٠)، وعلي بن الجعد في مسنده (٨٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١)، والصغرى (٤٣١)، وابن خزيمة (٦٨٤)، والحاكم (١/ ٣٢١)، عن حذيفة ﷺ والحديث صحيح.

(٣) في (ط) (حق الله).

(٤) في (ع) (س) (م): (لتستخرج).

(٥) (من الحق) من (ط).

(٦) في (ط): (حقوق الله)، وفي (ع): (حقوق الله للعباد).

(٧) في (م) العبارة (والقلب شريكها إن قوي سلطانه منها).

(٨) (إذا) ليست في (س) (ع).

(٩) في (س) (ع) (رأسه من السجود وشرع له أن يجثو بين يدي ربه).

مستعدياً على نفسه، معتذراً من ذنبه[١] إلى ربه ومما كان منها، راغباً إليه أنْ يرحَمه ويغفِرَ له ويرحمه[٢] ويهديَهُ ويرزقه ويعافيه، وهذه الخمس كلمات، قد جمعت[٣] جماع خير الدنيا والآخرة فإنَّ العبد محتاج بل مضطر إلى تحصيل مصالحه في الدنيا وفي[٤] الآخرة، ودفع المضار عنه في الدنيا والآخرة، وقد تضمّن هذا الدعاء ذلك كلّه[٥].

فإنَّ الرزق يجلب له مصالح دنياه وأخراه ويجمع رزق بدنه ورزق قلبه وروحه، وهو أفضل الرازقين[٦].

والعافية تدفع مضارّها.

والهداية تجلب له مصالح أُخراه[٧].

والمغفرة تدفع عنه مضارّ الدنيا والآخرة[٨].

والرحمة تجمع ذلك كُلّه. والهداية تعمُّ تفاصيل أموره كلّها[٩].

وشرع له أن يعودَ ساجداً كما كان، ولا يكْتفَي منه بسجدة واحدة في

---

(١) (من ذنبه) من (س) (ع) وفي (ط) لا توجد.

(٢) (ويرحمه) من (ع) فقط.

(٣) في (ط): (وهذه الخمس هي جماع خير..).

(٤) (وفي) ليست في (س).

(٥) في (ط): (وقد تضمنها هذا الدعاء..).

(٦) قوله: (وأخراه ويجمع -إلى قوله- الرازقين) من (س) (ع)، وفي (ط): (دنياه والعافية تدفع).

(٧) من قوله (والعافية إلى هنا) ليس في (س).

(٨) في (ط): (مضارها).

(٩) قوله: (والهداية تعم .. كلها) ليست في (ط)، وقد كرر الهداية مرتين مرة هنا وقبل قليل قال: (والهداية تجلب له مصالح أخراه)، فالهداية بمعناه العام هي هداية أخروية، وبالمعنى الخاص هي هداية لكل شيء دنيا وآخرة.

الركعة كما اكتفى منه بركوع واحد؛ وذلك[١] لفضل السجود وشرفه وقرب العبد من ربه[٢] وموقعه من الله عز وجل، حتى إنَّه أقرب ما يكون إلى ربه[٣] وهو ساجد، وهو أشهر[٤] في العبودية وأعرق فيها[٥] من غيره من أركان الصلاة[٦]؛ ولهذا جُعِلَ خاتمة الركعة[٧]، وما قبله كالمقدمة بين يديه، فمحلّه من الصلاة محل طواف الزيارة، وما قبله[٨] كالمقدمة بين يديه من[٩] التعريف[١٠] وتوابعه مقدمات بين يدي طواف الزيارة[١١]، وكما أنَّه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فكذلك أقرب ما يكون منه في المناسك وهو طائف (كما قال ابن عمر لمن خطب ابنته وهو[١٢] في الطواف فلم يرد عليه فلما فرغ[١٣] من الطواف قال: أتذكر أمراً من أمور الدنيا ونحن نتراءى لله

الطواف في الحج كالسجود في الصلاة

---

(١) (وذلك) ليس من (ط).
(٢) (وقرب العبد من ربه) (ليس في (ط).
(٣) في (ط) (عبده).
(٤) في (ط) (أدخل).
(٥) (وأعرق فيها) ليست في (س).
(٦) (من أركان الصلاة) من (س).
(٧) في (س): (الركوع).
(٨) من قوله: (فمحله من .. قبله) ليس في (س).
(٩) (كالمقدمة بين يديه من) من (س) (ع).
(١٠) التعريف هو الوقوف بعرفة في الحج.
(١١) (طواف الزيارة) من (ع) وفي (ط): (بين يديه) وفي (س) (وتوابعه مقدمات، وكما).
(١٢) في (س) (وهما).
(١٣) في (س) (فلما فرغا).

سبحانه وتعالى في طوافنا)[١].

ولهذا والله أعلم[٢]، جُعِلَ الركوع قبل السجود تدريجاً وانتقالاً من الشيء إلى ما هو أعلى منه.

لماذا يكرر السجود مرتان

وشُرِعَ له تكرير هذه الأفعال والأقوال؛ إذ هي غذاء القلب والروح التي لا قوام لهما إلا بها، فكان تكريرها بمنزلة تكرير الأكل لقمة بعد لقمة[٣] حتى يشبع، والشرب نفساً بعد نفس[٤] حتى يَروى، فلو[٥] تناول الجائع لقمة واحدة ثم دفع الطعام من بين يديه[٦] فماذا كانت[٧] تغني عنه تلك اللقمة؟ وربما فتحت عليه باب الجوع أكثر مما به[٨]؛ ولهذا قال بعض السلف: «مثل الذي يصلي ولا يطمئن في صلاته كمثل الجائع إذا قدم إليه طعام فتناول منه

(١) هذا الأثر جاء في (ط): (ولهذا قال بعض الصحابة لمن كلّمه في طوافه بأمر من الدنيا: «أتقول هذا ونحن نتراءى الله في طوافنا» وقد اخترت النص الذي في (س) (ع) لأن فيه التصريح باسم الصحابي (عبدالله بن عمر رضي الله عنهما) وهو أقرب إلى النص في الأصول.
وهذا الأثر رواه ابن سعد في طبقاته (٤/ ١٦٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٠٩)، وعنه الذهبي في «سيرة أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٦)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٣٣٩)، والحكيم الترمذي في نوادره (٢/ ٣٠٥)، بلفظ مغاير عما ذكره ابن القيم، وأقرب لفظ له هي رواية ابن سعد، والحكيم الترمذي.
والذي كلّم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في ابنته هو التابعي عروة بن الزبير رحمه الله ورضي الله عن الزبير.

(٢) في (ع) (ط): (يعلم).

(٣) (لقمة بعد لقمة) من (س) (ع).

(٤) (نفساً بعد نفس) من (س) (ع).

(٥) في (س) (فإذا).

(٦) (ثم دفع الطعام من بين يديه) من (س) (ع) وإما في (ط): (وأقلع عن الطعام).

(٧) في (س) (ع) (فماذا تغني عنه) وفي (ط) (ماذا تغني عنه).

(٨) قوله: (تلك اللقمة؟ وربما فتحت عليه باب الجوع أكثر مما به) ليس في (ط).

لقمة أو لقمتين ماذا تغني عنه ذلك[١]؟»[٢].

وفي إعادة كل قول أو فعل من العبودية والقرب، وتنزيل الثانية منزلة الشكر على الأولى[٣]، وحصول مزيد خير وإيمان مِنْ فعلها[٤]، ومعرفة وإقبال وقوة قلب[٥]، وانشراح صدر وزوال درنٍ ووسخٍ عن القلب بمنزلة غسل الثوب مرَّة بعد مرَّة.

فهذه حكمة الله[٦] التي بَهَرَت[٧] العقول حكمته[٨] في خلقه وأمره، ودلّت

---

(١) (ذلك) من (س) (ع)، وفي (ط) (هذا).

(٢) بحثت عنه عن السلف فلم أجده -والقصور مني- فإن ابن القيم واسع الإطلاع والذي ورد في هذا المعنى حديث معروف ونصه:
عن أبي عبدالله الأشعري: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يُتمُّ ركوعه، وينقر في سجوده، وهو يصلّي، فقال رسول الله ﷺ: «لو مات هذا على حاله هذه؛ مات على غير مِلّةِ محمد ﷺ» ثم قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي لا يُتمُّ ركوعه، ويَنقرُ في سجوده مثل الجائع، يأكلُ التمرة والتمرتين، لا يُغنيان عنه شيئاً».
قال أبو صالح (تابعي ثقة وهو الراوي عن أبي عبدالله الأشعري): قلت لأبي عبدالله: من حدَّثك بهذا عن رسول الله ﷺ؟ قال: أمراء الأجناد: «عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وشُرحبيل بن حسنة، سمعوه من رسول الله ﷺ» والحديث هذا رواه البخاري في تاريخه (٤/ ٢٤٧)، والطبراني في الكبير (٣٨٤٠)، ومسند الشاميين (١٦٢٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٩٤، ٦٣٥)، وأبو يعلى (٧١٨٤، ٧٣٥٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٦٥)، والبيهقي في سننه (٢/ ٨٩)، والحديث حسن، حسّنه المنذري في الترغيب والترهيب، والهيثمي في «مجمع الزوائد»، والألباني في صحيح الترغيب، وصفة الصلاة.

(٣) في (س) (ع) (لما قبلها).

(٤) (خير وإيمان من فعلها) من (س) (ع)، وفي (ط) (مزيد منها).

(٥) في (س) (وقوة في القلب).

(٦) (الله) من (ط) فقط.

(٧) في (س) (الذي بهر).

(٨) (حكمته) من (س).

على كمالِ رحمته[١] ولطفه، وما لم تحط به علماً منها أعلى وأعظم وأكبر وإنما هذا يسير[٢] من كثير منها[٣].

فلما[٤] قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلاّ الانصراف منها، فَشرع له الجلوس في آخرها[٥] بين يدي ربه مُثنياً عليه بما هو أهله[٦]، فأفضل ما يقول العبد[٧] في جلوسه هذه[٨] التحيات التي لا تصلح إلا لله، ولا تليق بغيره.

عبودية الجلوس للتشهد ومعنى التحيات

ولما كان مِنْ عادة الملوك أن يحيّوا بأنواع التحيات من الأفعال والأقوال المتضمنة للخضوع لهم، والذل، والثناء عليهم[٩] وطلب البقاء، والدوام لهم، وأن يدوم ملكهم[١٠].

فمنهم: من يحيّي بالسجود ومنهم من يحيّي بالثناء عليه.

ومنهم: من يحيي بطلب البقاء، والدوام له[١١].

ومنهم: من يَجْمَعُ له ذلك كلّه فيسجد له[١٢]، ثم يثني عليه، ثم يدعي له

---

(١) (رحمته) ليست في (س).
(٢) في (س) (أيسر).
(٣) قوله: (وما لم -إلى قوله- كثير منها) من (س) (ع).
(٤) في (س) (ع) (فإذا).
(٥) (في آخرها) ليست في (ط).
(٦) (بما هو أهله) ليست في (ط).
(٧) (العبد) من (م) فقط.
(٨) قوله: (ما يقول -إلى قوله- هذهِ) ليس في (ط).
(٩) العبارة في (ط) (للخضوع والثناء).
(١٠) في (ط): (وطلب البقاء ودوام الملك)، وفي (م): (وطلب البقاء لهم والدوام لهم..).
(١١) في (م) (البقاء له والدوام) وفي (س) (ع) (البقاء والدوام).
(١٢) في (ط) (ومنهم من يجمع له ذلك كله).

بالبقاء والدوام[١].

وكان الملك الحق المبين، الذي كلّ شيء هالك إلا وجهه[٢] سبحانه أولى بالتحيات كلّها مِنْ جميع خلقه، وهي له بالحقيقة وهو أهلها[٣]؛ ولهذا فُسّرت التحيات بالملك، وفسرت بالبقاء والدوام، وحقيقتها ما ذكرته، وهي تحيات المُلك والمَلك والمليك[٤].

فالله سبحانه هو المتصف[٥] بجميع ذلك، فهو أولى به فهو سبحانه المَلك، وله المُلك[٦]، فكلّ تحية تحيى بها ملك من سجود أو ثناء، أو بقاء، أو دوام فهي لله على الحقيقة[٧]؛ ولهذا أتى بها مجموعة معرّفة بالألف واللام إرادة[٨] للعموم، وهي جمع تحية، تحيا بها الملوك[٩]، وهي «تفعُلة»[١٠] من الحياة، وأصلها «تحييه» على وزن «تكرمة»[١١]، ثم أدغم إحدى اليائين[١٢] في الآخر[١٣] فصارت «تحيّة» فإذا كان أصلها من الحياة، والمطلوب منها[١٤] لمن

---

(١) قوله: (ثم يثني..والدوام) ليس في (ط) (س).

(٢) قوله: (المبين الذي..إلا وجهه) ليس في (ط).

(٣) (وهو أهلها) ليس في (ط).

(٤) في (ط) (تحيات الملك، فالملك الحق المبين أولى بها)، وفي (س): (تحيات الملوك فالله سبحانه هو..) وفي (ع) (تحيات الملك والملك والمالك).

(٥) في (س) (المتصرف).

(٦) في (ع) (..وله الملك والمالك).

(٧) في (ط) (..فهي لله عز وجل).

(٨) في (ط) (أداة).

(٩) (تحيا بها الملوك) ليست في (ط).

(١٠) في (م) (س) (ط) (تفعيلة). وهذا خطأ.

(١١) في (م) (س) (ط) (مكرمة) وهذا خطأ.

(١٢) في (ط) (المثلين).

(١٣) في (س) (ع) (الأخرى).

(١٤) (منها) ليست في (ط).

تحيي بها دوام الحياة، كما كانوا يقولون[١] لملوكهم:

لك الحياة الباقية، ولك الحياة[٢] الدائمة.

وبعضهم يقول: عش عشرة[٣] آلاف سنة.

واشتق منها[٤]:

أدام الله أيامك أو أيامه[٥]، وأطال الله بقاءك.

ونحو ذلك مما يراد به دوام الحياة والملك، فذلك جميعه لا ينبغي إلا لله الحي القيوم[٦] الذي لا يموت.

الذي كل مَلِكٍ سواه يموت، وكل مُلكٍ سوى ملكه[٧] زائل.

عطف الصلوات والطيبات

ثم عطف عليها الصلوات بلفظ الجمع والتعريف؛ ليشمل ذلك كلّما أطلق[٨] عليه لفظ الصلاة خصوصاً وعموماً، فكلّها لله ولا تنبغي إلا له، فالتحيات له ملكاً، والصلوات له عبودية واستحقاقاً، فالتحيات لا تكون إلا لله[٩]، والصلوات لا تنبغي إلا له.

(١) في (ع) كما يقولون لملوكهم) وفي (ط) (وكانوا يقولون لملوكهم).
(٢) (ولك الحياة) من (ط) فقط.
(٣) (عش) ليست في (ط)، وجاء في كتاب «الصلاة» (ص٢١٣) (تعيش ألف عام).
(٤) (واشتق) من (ط) فقط.
(٥) في (ع) (وأيامه) وفي (م) (س) لا توجد.
(٦) العبارة في (ط): (فذلك لا ينبغي إلا للحي القيوم).
(٧) قوله: (ملك -إلى قوله- ملكه) ليس في (ط)، وفيه (.. كل ملك زائل غير ملكه).
(٨) في (س) (ع) (م) (كما يطلق).
(٩) في (ع) (إلا له).

ثم عطف عليها[١] بالطيبات، وهذا يتناول أمرين: الوصفَ والملك.

فأما الوصفُ: فإنّه سبحانه طيِّب، وكلامه طيّبٌ، وفعله كلّه[٢] طيب، ولا يصدر منه إلا طيّب[٣]، ولا يضاف إليه إلا الطيّب، ولا يصعد إليه إلا الطيّب.

معنى الطيبات

فالطيبات له وصفاً وفعلاً وقولاً ونسبةً، وكلّ طيّب مضاف إليه طيّب، فله الكلمات الطيبات والأفعال، وكلّ مضاف إليه[٤] كبيته وعبده، وروحه وناقته، وجنته دار الطيبين[٥]، فهي طيبات كلّها[٦]، وأيضاً فمعاني[٧] الكلمات الطيبات لله وحده، فإنها تتضمن تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتمجيده، والثناء عليه بالآئه وأوصافه؛ فهذه الكلمات الطيبات التي يثنى عليه بها، ومعانيها له وحده لا شريك له[٨]: كسبحانك اللهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك[٩].

---

(١) (عليها) ليست في (ط) (ع).

(٢) (كلّه) من (ط).

(٣) قوله: (ولا يصدر منه إلا طيب) من (ط).

(٤) قوله: (فله الطيبات..مضاف إليه) ليست في (م).

(٥) (دار الطيبين) ليست في (ط).

(٦) (كلها) ليست في (ط).

(٧) (فمعاني) من (ط)، وفي البقية (فالكلمات الطيبات).

(٨) في (ط): (لا يشركه فيها غيره) وهي من المحقق وإلا ففي الأصل (لا يسر كيه).

(٩) هذا ورد ضمن أحاديث الاستفتاح ~~التي كان النبي~~ ﷺ يستفتح بها الصلاة وهو حديث أقل أحواله الحسن كما حكم عليه الحافظ ابن حجر. وقد رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، والنسائي في الكبرى وفي المجتبى (٢/ ١٣٢)، وابن ماجه (٨٠٤)، وأحمد (٣/ ٥٠، ٦٩)، والدارمي (١٢٤٢)، وعبدالرزاق (٢٥٥٤)، وابن أبي شيبة وابن خزيمة (٤٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وله شواهد عن عائشة وابن مسعود وأنس =

وكسبحان[١] الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر[٢].

وسبحان[٣] الله وبحمده، سبحان الله العظيم[٤]، ونحو ذلك[٥]. وكلّ طيّب له وعنده ومنه وإليه[٦]، وهو طيّب لا يقبل إلا طيّباً، وهو إله الطيبين وربهم، وجيرانه في دار كرامته، هم الطيبون[٧].

فتأمل[٨] أطيب الكلمات بعد القرآن، كيف[٩] لا تنبغي إلا لله؟ وهي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، أطيب الكلام بعد القرآن

خزيمة (٤٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وله شواهد عن عائشة وابن مسعود. وأنس وعمر، وابنه وجابر وواثلة، والحكم بن عمير وكلها ضعيف باستثناء أثر واثلة فإنه ضعيف جداً.

وحديث جابر محتمل التحسين، وله شاهد موقوف عن عمر في صحيح مسلم (٣٩٩) وهذا الحديث رغم أن هناك أحاديث أقوى منه سنداً في البخاري ومسلم، إلا أنّ أهل العلم يقدمونه في المعنى على كل الأحاديث وقد ألف شيخ الإسلام في ذلك رسالة قيمة سمّاها «قاعدة في أنواع الاستفتاح في الصلاة» نشرت قديماً وهي ضمن المجموع.

(١) في (ط): (ونحو سبحان).

(٢) ورد في هذه الألفاظ آثاراً وأحاديث، وانهنّ الباقيات الصالحات، وما أذكره هو حديث مسلم (٢٦٩٥)، عن أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «لأن أقول: سبحان الله والحمدلله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس».

(٣) في (ط): (ونحو سبحان).

(٤) ورد في ذلك حديث رواه البخاري (٦٠٤٣، ٧١٢٤)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٥) (ونحو ذلك) ليست في (ط).

(٦) في (م) (وكل طيب عنده ومنه إليه) وفي (ط): (فكل طيب فله وعنده ومنه وإليه).

(٧) العبارة في (م) (وهم جيرانه في دار الطيبين)، وفي (ع) (س): (وهم جيرانه في دار كرامته هم الطيبون).

(٨) (فتأمل) من (ط).

(٩) (كيف) من (ط).

فإن[١] (سبحان الله) تتضمن تنزيهه عن كل نقص وعيب وسوء عن خصائص المخلوقين وشبههم.

و(الحمد لله) تتضمن إثبات كلّ كمال له قولاً، وفعلاً، ووصفاً على أتمّ الوجوه[٢]، وأكملها أزلاً وأبداً.

و(لا إله إلا الله) تتضمن انفراده بالإلهية، وأن كل معبود[٣] سواه باطل، وأنه وحده الإله الحق، وأن من[٤] تأله غيره فهو بمنزلة من اتخذ بيتاً من بيوت العنكبوت، يأوي إليه، ويسكنه من الحرّ والبرد، فهل يغني عنه ذلك شيئاً[٥].

و(الله أكبر) تتضمن أنه أكبر من كلّ شيء، وأجل، وأعظم، وأعز وأقوى وأمنع[٦]، وأقدر، وأعلم، وأحكم، فهذه الكلمات لا تصلح هي ومعانيها إلا لله وحده.

عبودية التسليم على الأنبياء والصالحين

ثم[٧] شرع له[٨] أن يسلّم على سائر عباد الله الصالحين، وهم عباده الذين اصطفى[٩] بعد الثناء، وتقديم الحمد لله[١٠] فطابق ذلك قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ

(١) (وهي سبحان .. فإن) من (ط).
(٢) في (ط) (الوجود).
(٣) في (ع) (س) (م) (كل ما سواه).
(٤) في (م) (وإن يك تأله).
(٥) قوله: (من الحر..شيئاً) ليست في (ط).
(٦) (وأمنع) ليست في (ط).
(٧) في نسخة (م) كتب هذا السطر قبل هذا الكلام وهو: (ثم شرع له أن يصلي على النبي ﷺ ويقدمه على غيره؛ لأنه أولى الخلق بها لأنه هو الذي نالت أمته به وعلى يديه كل خير).
(٨) (له) ليست في (م).
(٩) العبارة في (ط) (عباد الله الذين اصطفى).
(١٠) في (ط): (بعد تقدّم الحمد والثناء عليه ما هو أهله، فطابق..).

لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، وكأنه امتثال له، وأيضاً فإن هذا تحية المخلوق فشرعت بعد تحية الخالق وقدم في هذه التحية أولى الخلق بها وهو النبي ﷺ، الذي نالت أمته على يده كل خير، وعلى نفسه، وبعده[١] وعلى سائر عباد الله الصالحين، وأخصهم بهذه التحية الأنبياء والملائكة[٢]، ثم أصحاب محمد ﷺ[٣]، وأتباع الأنبياء[٤] مع عمومها كل عبد[٥] صالح في السماء والأرض.

ثم شرع له بعد هذه التحية السلام[٦] على من يستحق السلام[٧] عليه خصوصاً وعموماً.

معنى الشهادتين في التحيات

ثم شرع له[٨] أن يشهد شهادة الحق التي بنيت عليها الصلاة، والصلاة[٩] حق من حقوقها، ولا تنفعه إلا بقرينتها وهي الشهادة للرسول ﷺ[١٠] بالرسالة، وختمت بها الصلاة كما قال عبدالله بن مسعود[١١]: «فإذا قلت

---

(١) قوله: (وكأنه امتثال -إلى قوله- وبعده) من (ط) فقط أما في بقية النسخ فبعد الآية كتبت: (فيسلم المصلي على نفسه أولاً ثم على سائر عباد الله الصالحين).
(٢) (الملائكة) ليست في (م).
(٣) في (ط): (بدل محمد): (رسول الله).
(٤) (واتباع الأنبياء) ليست في (ط).
(٥) (عبد) من (م) فقط، وفي (ط): (عبد لله صالح).
(٦) في (ط): (التسليم).
(٧) في (ط): (التسليم).
(٨) (ثم شرع له) ليست في (ط).
(٩) في (ط): (وهي).
(١٠) في (ط): (لرسول الله)، وفي (م) (س) (للرسول بالرسالة).
(١١) في (م) (س) (ع): (كما في حديث ابن مسعود).

ذلك فقد قضيت صلاتك، فإن شئت فقم[١] وإن شئت فاجلس[٢]»[٣].

وهذا إما أن[٤] يحمل على انقضائها[٥] إذا فرغ منه حقيقة، كما يقوله[٦]

---

(١) في (ط): (أن نقوم فقم).

(٢) في (ط): (أن تفقد فاقعد).

(٣) هذا حديث ابن مسعود ﷺ في تعليم النبي ﷺ التشهد، وقد رواه ابي داود (٩٦٩)، وأحمد (١/ ٤٢٢)، والطيالسي (٢٧٥)، والدارمي (١٣٤١)، وابن حبان (١٩٦١)، والدارقطني في سننه (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، وفي العلل (٥/ ١٢٧)، والطبراني في الكبير (٩٩٢٣-٩٩٢٥)، والبيهقي في سننه (٢/ ١٧٤)،وعلي بن الجعد في مسنده (٢٥٩٣)، والحديث صحيح.

وقوله: «فإذا قلت ذلك» هو قول ابن مسعود، وليس قول النبي ﷺ وهذا ذكره ابن حبان والدارقطني، والطبراني والحاكم والبيهقي والخطيب وابن الجوزي وابن حزم، وجعله السيوطي في «تدريب الراوي» مثالاً للحديث المدرج تبعاً للحاكم في «معرفة علوم الحديث» والخطيب البغدادي وغيرهم، وهو الراجح، وقد رجح ابن القيم إدراجه في «حاشيته على مختصر أبي داود» (١/ ٦٤) وفي «جلاء الأفهام» (٦٤/ ٣٣٧).

وقد ثبت هذا الأثر عن ابن مسعود من قوله.

والحنفية يحتجون بهذه الرواية على صحة صلاة من تشهد حتى لو أحدث قبل السلام، وقد دافع ابن التركماني في تعقبه على البيهقي على رفع هذهِ الرواية.

أما المالكية والشافعية والحنابلة فيبطلون صلاة من أحدث قبل السلام، وقد أجابوا عن حجج الحنفية، بأنه صح عن ابن مسعود إيجاب السلام فرضاً، هذا قاله ابن حزم، وقال ابن العربي المالكي: وإنما يعني به فقد قضيت صلاتك فأخرج عنها بتحليل كما دخلتها بإحرام.

كذلك احتج بهذهِ الرواية من ذهب إلى عدم وجوب الصلاة على النبي ﷺ.

وقد أجاب ابن حجر في الفتح (١١/ ١٦٤): (إن هذه الزيادة مدرجة وعلى تقدير ثبوتها فتحمل على أن مشروعية الصلاة عليه وردت بعد تعليم التشهد) ا.هـ

(٤) (إما أن) من (ط).

(٥) في (م): (انقضاء التشهد).

(٦) في (ع): (يقول).

الكوفيون[١]، أو على مقاربة انقضائها ومشارفته[٢]، كما يقول أهل الحجاز وغيرهم[٣]، وعلى التقديرين فجعلت شهادة الحق خاتمة الصلاة. كما شرع أن تكون هي خاتمة الحياة.

«فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٤].

وكذلك شرع للمتوضىء أن يختتم وضوءه بالشهادتين[٥]، ثم لما قضى صلاته أذن له أن يسأل[٦] حاجته.

الصلاة على النبي

وشرع له أن يتوسل[٧] قبلها بالصلاة على النبي ﷺ، فإنها من أعظم

(١) يقصد بالكوفيين الحنفية.

(٢) في (م): (مقاربة القضاء بها كما..) وفي (ع) (س): (مقاربة انقضائها كما..).

(٣) يقصد بأهل الحجاز المالكية، وغيرهم هم الشافعية والحنابلة وأهل الظاهر.

(٤) الحديث رواه أبي داود (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١١٢)، وفي الدعاء (١٤٧١)، والبزار في مسنده (٢٦٢٦)، والحاكم في مستدركه (١٢٩٩، ١٨٤٢)، والبيهقي في الشعب (٩٤، ٩٢٣٧) وابن منده في الإيمان (١/ ٢٤٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٥)، ومدار الحديث على صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ ابن جبل مرفوعاً، وصالح هذا لم يوثقه غير ابن حبان في الثقات ولا يعرف، كذا أعلّه ابن القطان الفاسي، قال ابن حجر في التلخيص (٢/ ٦٤٨): (وتعقب بأنه روى عنه جماعة وذكره ابن حبان في الثقات) ا.هـ. قلت: الحديث حسن وله شواهد كثيرة، منها ما رواه احمد (٥/ ٣٩١) عن حذيفة بسند صحيح: (من قال لا إله إلا الله ختم له بها دخل الجنة..).

(٥) مرّ تخريجه ص(٧١).

(٦) في (م): (ينال).

(٧) استخدم الإمام ابن القيم هذا اللفظ بشكل دقيق بمعنى (التوصل بوسيلة) خلافاً للمتأخرين في عصره الذين استخدموه بمعنى القسم بالأنبياء والصالحين، واستخدام ذواتهم للتوسل غير المشروع.

الوسائل بين يدي الدعاء، كما في السنن عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بحمد الله، والثناء عليه، وليصل على رسوله ثم ليسل حاجته»[(١)].

ثم جعل الدعاء آخر الصلاة كالختم عليها[(٢)].

فجاءت التحيات على ذلك، أولها حمدٌ لله، والثناء عليه ثمَّ الصلاة على رسوله ثم الدعاء آخر الصلاة[(٣)]، وأذِنَ النبي ﷺ للمصلى بعد الصلاة عليه أن يتخير مِنَ المسألة ما يشاء[(٤)].

سنن الأذان الخمس

ونظير هذا ما شرع لمن سمع الآذان:

أن يقول كما يقول المؤذن[(٥)].

وأن يقول رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً[(٦)].

وأن يسأل الله لرسوله الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه المقام المحمود[(٧)].

---

(١) (ثم ليسل حاجته) من (ط). والحديث أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، وأحمد (٦/ ١٨)، وابن حبان (١٩٦٠)، والبزار (٣٧٤٨)،والطبراني (١٨/ ٣٠٧، ٣٠٨)، وابن خزيمة (٧١٠)، والحاكم (٨٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٤٧)، وفي الصغرى (٤٧٧)، وفي الشعب (٣١٣٩)، وأبو أحمد الحاكم في «شعار أهل الحديث» (٦٥) والحديث صحيح، وليس في الحديث «إذا دعا» بل «إذا صلى» وليس فيه «ثم ليسل حاجته» بل «ثم يدعوه بما شاء» ويبدو أن ابن القيم رواه بالمعنى.

(٢) قوله: (ثم جعل الدعاء -إلى قوله- كالختم عليه) ليس في (ط).

(٣) قوله: (فجاءت -إلى قوله- الصلاة) ليس في (م).

(٤) في (ط): (يتخير من الدعاء أعجبه إليه).

(٥) بدل (المؤذن) في (ط): (يقول كما يقول)، والحديث متفق عليه، ورواه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٣٨٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٦) الحديث رواه مسلم (٣٨٦) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٧) الحديث رواه البخاري (٥٨٩، ٤٤٤) عن جابر، ومسلم (٣٨٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

ثم[١] ليصل عليه[٢].

ثم يسأل حاجته[٣].

فهذه خمس سنن في إجابة المؤذن[٤] لا ينبغي الغفلة عنها.

فصل

سرّ الصلاة الإقبال على الله

وسرُّ الصلاة وروحها ولبُّها، هو إقبال العبد على الله بكليّته فيها[٥]، فكما أنّه لا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها[٦]، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره فيها[٧].

بل يجعل الكعبة[٨] -التي هي بيت الله- قبلة وجهه وبدنه، ورب البيت تبارك[٩] تعالى قبلة[١٠] قلبه وروحه، وعلى حسب إقبال العبد على الله في

---

(١) (ثم) ليست في (م).

(٢) الحديث في مسلم (٣٨٤) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) هذا الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما رواه أبو داود (٥٢٤) والنسائي في الكبرى (٩٨٧٢)، وأحمد (٢/ ١٧٢)، وابن المبارك في الزهد (٣٤١)، وابن حبان (١٦٩٦)، والبيهقي في السنن (١/ ٤١٠)، وسنده حسن بإذن الله.

(٤) ذكر ابن القيم هذهِ العبارة في كتابه «الوابل الصيب» (١٩٠) بتحقيقي في دار الرشد، وفي «جلاء الأفهام» (٣٧٣).

(٥) (فيها) ليست في (ط).

(٦) في (ط): (عن قبلة الله يميناً وشمالاً).

(٧) (فيها) ليست في (ط).

(٨) في (ط): (فالكعبة).

(٩) (تبارك) من (ط).

(١٠) في (ط): (هو قبلة).

صلاته، يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرضَ أعرضَ[١] الله عنه، وكما تدين تدان[٢].

للإقبال على الله في الصلاة ثلاث منازل

والإقبال في الصلاة على[٣] ثلاثة منازل:

- إقبال العبد[٤] على قلبه فيحفظه ويصلحه من أمراض الشهوات[٥] والوساوس، والخطرات المبطِلِةِ لثواب صلاته أو المنقصةِ لها[٦].
- والثاني[٧]: إقباله على الله بمراقبته فيها حتى يعبده كأنه يراه[٨].
- والثالث[٩]: إقباله[١٠] على معاني كلام الله[١١]، وتفاصيله[١٢] وعبودية[١٣] الصلاة ليعطيها حقها من الخشوع والطمأنينة وغير ذلك[١٤].

---

(١) (أعرض) من (ط).

(٢) (وكما تدين تدان) ليست في (ط).

(٣) (على) ليست في (ط).

(٤) (العبد) ليست في (ط).

(٥) (ويصلحه من أمراض الشهوات) ليست في (ط).

(٦) في (ط) (لها).

(٧) (الثاني) ليس في (ط).

(٨) في (ط): (بمراقبته حتى كأنه يراه).

(٩) (والثالث) ليس في (ط).

(١٠) في (ط): (وإقبال).

(١١) في (ط): (كلامه).

(١٢) في (ط) (ع): (وتفاصيله).

(١٣) في (ط): (عبودية) بدون واو.

(١٤) (من الخشوع والطمأنينة وغير ذلك) ليس في (ط).

فباستكمال هذه المراتب الثلاث[١] يكون قد أقام الصلاة حقاً[٢]، ويكون إقبال الله على المصلي[٣] بحسب ذلك.

كيف يكون الإقبال في كل جزء من اجزاء الصلاة

فإذا انتصب العبد قائماً بين يديه[٤]، فإقباله على قيُّومية الله[٥] وعظمته فلا يتلفت يمنة ولا يسرة[٦].

وإذا كبّر الله تعالى كان إقباله على كبريائه وإجلاله وعظمته[٧].

وكان إقباله على الله في استفتاحه على تسبيحه والثناء عليه وعلى سُبحات وجهه، وتنزيهه عمّا لا يليق به[٨]، ويثني عليه بأوصافه وكماله[٩].

فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، كان إقباله على ركنه الشديد، وسلطانه وانتصاره لعبده، ومنعه له منه وحفظه من عدوه[١٠].

وإذا تلى كلامه كان إقباله على معرفته في كلامه كأنّه يراه ويشاهده في

(١) في (س) (م): (الثلاثة).
(٢) في (ط): (لا تكون إقامة الصلاة حقاً).
(٣) في (ط): (عبده).
(٤) في (س) (م) (ع): (فإذا انتصب قائماً فإقباله).
(٥) في (ط): (قيوميته).
(٦) (فلا يلتفت يمنة ولا يسرة) ليس في (ط).
(٧) في (ط): (وإذا كبر فإقباله على كبريائه) والمثبت من (س) (ع) (م) إلا إن كلمة (وإجلاله) من (س) فقط.
(٨) جاءت العبارة في (م) محرفة هكذا (وإذا سجد كان إقباله في سجوده على تسبيحه والثناء) أما في (ط) فالعبارة مختصرة (فإذا سبحه وأثنى عليه فإقباله على سبحات وجهه).
(٩) في (ط) (وجماله).
(١٠) في (ط) العبارة هكذا: (فإذا استعاذ به فإقباله على ركنه..).

كلامه فهو كما قال[١] بعض السلف: لقد تجلّى الله لعباده في كلامه[٢].

والناس في ذلك على أقسام[٣] ولهم في ذلك مشارب، وأذواق[٤] فمنهم البصير، والأعور[٥]، والأعمى، والأصم، والأعمش، وغير ذلك، في حال التلاوة والصلاة[٦]، فهو في هذه الحال ينبغي له أن يكون مقبلاً على ذاته وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه وأحكامه وأسمائه.

وإذا ركع كان إقباله على عظمة ربه، وإجلاله وعزه وكبريائه، ولهذا شرع له في ركوعه أن يقول: «سبحان ربي العظيم»[٧].

فإذا رفع رأسه من الركوع[٨] كان إقباله على حمد ربه والثناء عليه وتمجيده وعبوديته له وتفرده بالعطاء والمنع.

فإذا سجد، كان إقباله[٩] على قربه، والدنو منه، والخضوع له والتذلل له،

---

(١) العبارة في (ط): (فإذا تلا كلامه فإقباله على معرفته من كلامه، حتى كأنه يراه ويشاهده في كلامه، فهو كما قال).

(٢) العبارة في (م): (تجلى لعباده في كلامه) وفي (س) (ع) (أن الله تجلى لعباده).
والعبارة لجعفر بن محمد المعروف بالصادق رحمه الله كما في إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٧) بلفظٍ قريبٍ منه.

(٣) (على أقسام) ليست في (س).

(٤) (وأذواق) ليست في (ع).

(٥) (والأعور) ليست في (س) (ع).

(٦) ما بين ( ) ليست في (ط).

(٧) العبارة في (ط): (فهو في هذه الحال مقبل على عظمته وجلاله وعزه ولهذا شرع له أن يقول سبحان ربي العظيم).

(٨) العبارة في (ط): (.. رأسه من الركوع فإقباله) وفي البقية: (.. رأسه كان إقباله).

(٩) في (ط): (سجد فإقباله).

والافتقار إليه والانكسار بين يديه، والتملق له[١].

فإذا رفع رأسه من السجود[٢] جثى على[٣] ركبتيه، وكان إقباله[٤] على غنائه وجوده، وكرمه وشدة حاجته إليهنّ، وتضرعه بين يديه والانكسار[٥]؛ أن يغفر له ويرحمه، ويعافيه ويهديه ويرزقه.

فإذا جلس في التشهد فله حال آخر، وإقبال آخر يشبه[٦] حال الحاج في طواف الوداع، واستشعرَ[٧] قلبه الانصراف من بين يدي ربه إلى أشغال الدنيا والعلائق[٨] والشواغل التي قطعه عنها الوقوف بين يدي ربه[٩] وقد ذاق قلبه التألم والعذاب بها قبل دخوله في الصلاة، فباشر قلبه روح[١٠] القرب، ونعيم الإقبال على الله تعالى[١١]، وعافيته منها وانقطاعها عنه مدة الصلاة[١٢]، ثم استشعر قلبه عوده إليها بخروجه من حمى الصلاة، فهو يحمل

---

(١) العبارة في (ط): (.. قربه والدنو منه والخضوع له والتذلل بين يديه، والانكسار والتملق) في (س) سقطت كلمة (له) بعد كلمة (التملق).

(٢) (من السجود) ليست في (ط).

(٣) (على) ليست في (م).

(٤) في (ط) (فإقباله).

(٥) (والانكسار) من (ط) فقط.

(٦) في (م) (ط) (شبه).

(٧) في (ط) (وقد استشعر).

(٨) في (ط) العبارة (..ربه وموافاة العلائق).

(٩) في (ط) (قطعها الوقوف بين يديه)، وقوله: (إلى إشغال -إلى قوله- ربه) ليست في (ع) (س) وكأنها سقطت من الناسخ.

(١٠) المثبت من (س) وفي (ع) (م) (قلبه بمفارقتها روح).

(١١) العبارة في (ط) هي: (وقد ذاق تألم قلبه عذابه بها وباشر روح القرب ونعيم الإقبال على الله تعالى).

(١٢) في (ط) (وعاقبته وانقطاعها عنه..).

همٌّ انقضاء الصلاة وفراغه منها ويقول: ليتها اتصلت بيوم اللقاء.

ويعلم أنّه ينصرف من مناجاة مَن كلّ[١] السعادة في مناجاته، إلى مناجاة من كان الأذى والهم والغم والنكد في مناجاته، ولا يشعر بهذا وهذا[٢] إلا من قلبه[٣] حي معمور بذكر الله ومحبته، والأنس به، ومَنْ هو عالم بما في مناجاة الخلق ورؤيتهم، ومخالطتهم من الأذى والنكد، وضيق الصدر وظلمة القلب، وفوات الحسنات، واكتساب السيئات، وتشتيت الذهن عن مناجاة الله تعالى عز وجل[٤].

الكلام على التسليم

ولما كان العبد بين أمرين من ربه عز وجل:

أحدهما: حكم الرب[٥] عليه في أحواله كلّها ظاهراً وباطناً، واقتضاؤه من[٦] القيام بعبودية حكمه، فإن لكلّ حكم عبودية تخصه، أعني الحكم الكوني القدري.

والثاني: فعل، يفعله العبد عبودية لربه، وهو موجب حكمه الديني الأمري.

وكلا الأمرين يوجبان بتسليم النفس إلى الله سبحانه[٧]، ولهذا اشتق له اسم

(١) في (م) (كان).
(٢) في (م) (لا يشعر بهذا إلا).
(٣) في (ط) (إلا قلب حي).
(٤) قوله: (ومَنْ هو -إلى قوله- عزّ وجل) ليس في (ط).
(٥) (الرب) ليست في (ط).
(٦) (منه) ليست في (م).
(٧) في (ط): (النفس إليه تعالى).

الإسلام من التسليم، فإنه لما سلّم لحكم ربه[١] الديني الأمري، ولحكمه الكوني القدري، بقيامه بعبودية ربه[٢] فيه لا باسترساله معه في الهوى، والشهوات، والمعاصي، ويقول: قدّر عليّ[٣] استحق اسم الإسلام فقيل له: مسلم.

الشروع في بيان ثمرات الخشوع

ولما اطمأن قلبه بذكر الله[٤]، وكلامه، ومحبته وعبوديته سكن إلى ربه[٥]، وقرب منه، وقرّت به[٦] عينه فنال الأمان بإيمانه ونال السعادة بإحسانه[٧]، وكان قيامه بهذين الأمرين أمراً ضرورياً له لا حياة له، ولا فلاح ولا سعادة إلا به.

ولما كان ما بُلي به من النفس الأمارة، والهوى المقتضي لمرادها[٨] والطباع المطالبة، والشيطان المغوي، يقتضون[٩] منه إضاعة حظّه من ذلك، أو نقصانه، اقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم أن شَرَعَ له الصلاة مُخلِفة عليه ما ضاع عليه من ذلك[١٠]، رادّةً عليه ما ذهب منه[١١]، مجددة له ما ذهب من

---

(١) في (ط): (لما أسلم نفسه لحكم).

(٢) في (ط): (بعبوديته فيه).

(٣) العبارة في (م): (باسترساله من أي القدر فهو قائم بما يجب عليه فيه كالصبر على المصائب وعلى الطاعات ولم يسترسل معه في الهوى).

(٤) في (ط) (بذكره).

(٥) في (ط) (سكن إليه).

(٦) (به) ليست في (ط).

(٧) (ونال السعادة بإحسانه) ليس في (ط).

(٨) (لمراده) ليس في (ط).

(٩) في (ط) (يقتضي).

(١٠) في (ط) (ما ضاع منه).

(١١) (منه) ليس في (ط).

عزمه وما فقده[١]، وما أخلِقَ من إيمانه، وجعل بين كل صلاتين برزخاً من الزمان حكمة ورحمة، ليُجمّ نفسه، ويمحو بها ما يكتسبه من الدرن، وجعل صورتها على صورة أفعاله، خشوعاً وخضوعاً وانقياداً وتسليماً[٢] وأعطى كلّ جارحة من جوارحه[٣] حظّها من العبودية، وجعل ثمرتها وروحها إقباله على ربه فيها بكليته، وجعل ثوابها وجزاءها القرب منه، ونيل كرامته في الدنيا والآخرة، وجعل منزلتها ومحلها[٤] الدخول عليه[٥] تبارك وتعالى، والتزين للغرض عليه تذكيراً[٦] بالعرض الأكبر عليه يوم القيامة[٧].

لكل شيء ثمرة وثمرة الصلاة الإقبال على الله

وكما أن الصوم ثمرته تطهير النفس، وثمرة الزكاة تطهير المال، وثمرة الحج وجوب المغفرة، وثمرة الجهاد تسليم النفس إليه[٨]، التي اشتراها سبحانه من العباد، وجعل الجنة ثمنها؛ فالصلاة ثمرتها الإقبال على الله، وإقبال الله سبحانه على العبد، وفي الإقبال على الله في الصلاة[٩] جميع ما ذكر من ثمرات الأعمال وجميع ثمرات الأعمال في الإقبال على الله فيها[١٠].

ولهذا[١١] لم يقل النبي ﷺ: جعلت قرة عيني في الصوم، ولا في الحج

---

(١) (ما ذهب من عزمه وما فقده) ليس في (ط).
(٢) قوله: (وجعل -إلى قوله- وانقياداً وتسليماً) ليس في (ط).
(٣) في (ط) (الجوارح).
(٤) (ومحلها) ليست في (س).
(٥) في (ط) (على ربه).
(٦) في (ط) (تذكيراً) وفي غيرها ليس موجودة.
(٧) في (ط) (يوم اللقاء).
(٨) (إليه) ليست في (ط).
(٩) في (س) الصوم بدل الصلاة وهذا تحريف، وقوله (على الله في الصلاة) ليست في (ط).
(١٠) قوله: (وجميع -إلى قوله- الله فيها) ليست في (ط).
(١١) في (ط): (ولذلك).

ولهذا[1] لم يقل النبي ﷺ: جعلت قرة عيني في الصوم، ولا في الحج والعمرة[2]، ولا في شيء من هذه الأعمال[3] وإنما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[4].

وتأمل قوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» ولم يقل (بالصلاة)، إعلاماً منه[5] بأن عينه لا تقر إلا بدخوله كما تقرعين المحب بملابسته لمحبوبه وتقرعين الخائف بدخول[6] في محل أنسه[7] وأمنه، فقرة العين بالدخول في الشيء أتم[8] وأكمل مِنْ قرة العين به قبل الدخول فيه[9]، ولما جاء إلى راحة القلب

---

(١) في (ط): (ولذلك).

(٢) (والعمرة) من (ط).

(٣) (ولا في شيء من هذه الأعمال) ليست في (ط).

(٤) الحديث عن أنس بن مالك ﷺ رواه النسائي في الكبرى (٨٨٨٧)، والمجتبى (٧/ ٦١)، وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٩٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢١)، والطبراني في الأوسط (٥٢٠٣، ٥٧٧٢)، وفي الصغير (٧٤١)، وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٣٥)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٦٠) (٤/ ٤٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٧١)، (١٤/ ١٨٩)، والحديث قال عنه الذهبي في الميزان (٣/ ٢٥٥) راداً على العقيلي في تليينه الحديث، (إسناده قوي) وقال الحافظ ابن حجر عنه في الفتح (٣/ ١١٥) (صح عنه) وفي (١١/ ٣٤٥): (بسند صحيح)، أما في «تلخيص الحبير» (٣/ ١١٦)، فقال: (إسناده حسن) قلت: هذا هو الراجح أن السند حسن، لوجود بعض الاختلاف فيه والله تعالى أعلم.

(٥) (منه) ليس في (ط).

(٦) (كما تقر عين .. بدخول) من (ط) فحسب.

(٧) (أنسه) ليس في (ط).

(٨) (أتم) ليس في (ط).

(٩) (فيه) ليس في (ط).

من تعبه[١] ونصبه قال: «يا بلال أرحنا بالصلاة»[٢].

لماذا الراحة بالصلاة؟

أي أقمها لنستريح بها من مقاساة الشواغل كما يستريح التعبان إذا وصل إلى مأمنه[٣] ومنزله وقرَّ فيه، وسكن[٤] وفارق ما كان فيه من التعب والنصب[٥].

وتأمل كيف قال: «أرِحْنا بالصّلاة»[٦] ولم يقل: (أرحْنا منها)، كما يقوله[٧] المتكلف الكاره لها، الذي لا يصليها إلا على إغماض وتكلف، فهو في عذاب ما دام فيها، فإذا خرج منها وجد راحة قلبه ونفسه[٨]؛ وذلك أنَّ قلبه

---

(١) في (س) (تعبده) وهو تحريف.

(٢) الحديث رواه أبو داود (٤٩٨٥-٤٩٨٦)، وأحمد (٥/ ٣٦٤، ٣٧١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٩٦) والإسماعيلي في معجم شيوخه (٢١١)، والطبراني في الكبير (٦٢١٥) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٤٢) عن علي، وعن رجل، وروي مرسلاً على محمد بن الحنفية.
قال ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ١٣٧-١٣٨):
(رجاله ثقات لكن اختلف فيه على سالم -ابن أبي الجعد- اختلافاً كثيراً ذكره الدارقطني في العلل) أ.هـ
وقد صححه الشيخ ناصر رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٧٨٩٢)، وفي صحيح أبي داود (٤١٧١، ٤١٧٢).
والحديث -في رأيي القاصر- حسن والله تعالى أعلم.

(٣) (مأمنه) ليست في (ط).

(٤) (وسكنه) ليست في (ع).

(٥) (وفارق ما..والنصب) ليست في (ط).

(٦) في (ط) (أرضا بها).

(٧) في (م) (يقول).

(٨) قوله: (الكاره لها -إلى قوله- ونفسه) ليس في (ط)، وكتب بدلها (المتكلف بها) الذي يفعلها تكلفاً وغرماً، فهو لما امتلأ قلبه بغيرها).

ممتلئ بغيره، والصلاة قاطعة له[١] عن أشغاله ومحبوباته الدنيوية[٢]، فهو معذّب بها حتى يخرج منها، وذلك ظاهر في أحواله فيها، مِنْ نقرها، والتفات قلبه إلى غير ربه، وترك الطمأنينة والخشوع فيها، ولكن قد عَلِمَ أنّه لا بدّ له من أدائها، فهو يؤديها على أنقص الوجوه، قائل بلسانه ما ليس في قلبه[٣] ويقول بلسان قلبه[٤] حتى نصلي فنستريح من الصلاة، لا بها.

فهذا لون وذاك لون آخر.

ففرق بين[٥] مَنْ كانت الصلاة لجوارحه قيداً ثقيلاً[٦]، ولقلبه سجناً ضيقاً حرجاً[٧]، ولنفسه عائقاً، وبين مَنْ كانت الصلاة لقلبه نعيماً، ولعينه قرة ولجوارحه راحة، ولنفسه[٨] بستاناً ولذة.

فالأول: الصلاة سجن لنفسه، وتقييد لجوارحه[٩] عن التورط[١٠] في مساقط الهلكات، وقد ينال[١١] بها التكفير والثواب، أو ينال[١٢] من الرحمة

(١) (له) ليست في (ع) (ط).

(٢) (الدنيوية) ليست في (ط).

(٣) قوله: (فهو معذّب -إلى قوله- في قلبه) ليس في (ط).

(٤) في (ط) العبارة (فهو قائل بلسان حاله وقاله نصلي) وفي (م) (ع) (ويقول بلسانه وقلبه)، والمثبت من (س) وهو الصواب.

(٥) في (ط) (فالفرق بين) وفي (م) (ففرق من كانت).

(٦) (ثقيلاً) ليست في (ط).

(٧) (ضيقاً وحرجاً) ليس في (ط).

(٨) ما بين ( ) ليست في (ط).

(٩) في (ط) (وتقييد لها)، قوله: (راحة -إلى قوله- لجوارحه) ليس في (س).

(١٠) (التورط) في (ط) وفي البقية (الورط).

(١١) في (ط) (ينالون).

(١٢) في (ط) (ينالهم).

بحسب عبوديته[١] لله تعالى فيها، وقد يعاقب على ما نقص منها[٢].

والقسم الآخر: الصلاة بستان له، يجد فيها راحة قلبه[٣]، وقرّة عينه[٤]، ولذّة نفسه[٥]، وراحة جوارحه، ورياض روحه، فهو فيها في نعيم يتفكّه، وفي نعيم يتقلّب يوجب له القرب الخاص[٦] والدنو، والمنزلة العالية من الله عزّ وجل[٧]، ويشارك[٨] الأولين في ثوابهم، بل يختص بأعلاه، وينفرد دونهم بعلو المنزلة والقربة، التي هي قدر زائد[٩] على مجرد الثواب.

من فوائد الصلاة القرب من الله

ولهذا تَعِدُ الملوك من أرضاهم[١٠] بالأجر والتقريب، كما قال السحرة لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء:٤١]، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف:١١٤].

فوعدهم بالأجر والقرب، وهو علو المنزلة عنده[١١].

فالأول: مَثَلُهُ مثل[١٢] عبد دخل الدار[١٣]، دار الملك[١٤]، ولكن حيل[١٥]

(١) في (ط) (عبوديتهم).
(٢) (وقد يعاقب على ما نقص منها) ليس في (ط).
(٣) في (ط) العبارة هكذا (بستان قلوبهم وقرة).
(٤) في (ط) (عيونهم).
(٥) في (س) (الخالص).
(٦) في (ط) (نفوسهم).
(٧) العبارة في (ط): (ولذة نفوسهم ورياض جوارحهم فهم فيها يتقلبون في النعم، فصلاة هؤلاء توجب لهم القرب والمنزلة من الله ويشاركون الأولين..).
(٨) في (ط) (ويشاركون).
(٩) العبارة في (ط): (ويختصون بأعلاه وبالمنزلة والقربة، وهي قدر زائد).
(١٠) في (س): (أطاعهم).
(١١) (فوعدهم بالأجر..عنده) ليس في (ط).
(١٢) (مثله مثل) ليست في (ط).
(١٣) (الدار) ليست في (س) (ع).
(١٤) في (س) (دار ملك).
(١٥) في (س) (وحيل بينه).

بينه وبين رب الدار بسترٍ[١] وحجاب، فهو محجوب من وراء الستر فلذلك لم تقر عينه بالنظر إلى صاحب الدار والنظر إليه[٢]؛ لأنه محجوب بالشهوات، وغيوم الهوى ودخان النَفْس، وبخار الأماني، فالقلب منه بذلك وبغيره عليل، والنفس مُكبّة على ما تهواه، طالبة لحظها[٣] العاجل.

فلهذا لا يريد أحد من[٤] هؤلاء الصلاة إلا على إغماض، وليس له فيها راحة، ولا رغبة[٥] ولا رهبة فهو في عذابٍ حتى يخرج منها إلى ما فيه قرة عينه من هواه ودنياه[٦].

والقسم الآخر: مَثَلُهُ كمثل رجل دخل دار الملك، ورفع الستر بينه وبينه، فقرّت عينه بالنظر إلى الملك، بقيامه[٧] في خدمته وطاعته، وقد أتحفه الملك بأنواع التحف، وأدناه وقربه، فهو لا يحب الانصراف من بين يديه، لما يجده مِنْ لذّة القرب وقرة العين، وإقبال الملك عليه، ولذة مناجاة الملك، وطيب[٨] كلامه، وتذلله بين يديه، فهو في مزيد مناجاة، والتحف وافدة عليه مِنْ كلٍّ[٩] جهة، ومكان وقد اطمأنت نفسه، وخشع قلبه لربه وجوارحه، فهو في سرورٍ وراحةٍ يعبد الله، كأنه يراه، وتجلّى له في كلامه، فأشد شيء عليه انصرافه مِنْ بين يديه، والله الموفق المرشد المعين، فهذه إشارة ونبذة يسيرة في

---

(١) في (س) (م) (رب الدار والنظر إليه بستر).
(٢) (والنظر إليه) من (ع).
(٣) في (م) (حظها).
(٤) (من) ليست في (م).
(٥) (ولا رغبة) ليست في (م).
(٦) القسم الأول ورد في (ط) بشكل مغاير سأذكره: (فالأول عبد قد دخل الدار والستر حاجب بينه وبين رب الدار فهو من وراء الستر فلذلك لم تقر عينه، لأنه في حجب الشهوات وغيوم الهوى، ودخان النفس، وبخار الأماني، فالقلب عليل، والنفس مكبة على ما تهواه، طالبة لحظها العاجل).
(٧) في (م) (وبقيامه).
(٨) في (م) (فطيب).
(٩) في (م) (عليه من جهة).

ذوق الصلاة، وسرّ من أسرارها وتجلٍّ[١] مِن تجلياتها[٢].

فصل

الفرق بين أهل السماع وأهل الصلاة

فنحن[٣] نناشد أهل السماع بالله الذي لا إله إلا هو، هل يجدون في سماعهم مثل هذا الذوق أو شيء منه؟ بل نناشدهم بالله[٤]، هل يدعهم السماع يجدون بعض[٥] هذا الذوق في صلاتهم[٦] أو جزءاً يسيراً منها؟

بل هل نشقوا من هذا الذوق رائحة، أو شموا منه شمة قط[٧]؟

ونحن نحلف، عنهم أن ذوقهم في صلاتهم وسماعهم[٨] ضد هذا الذوق، ومشربهم ضد هذا المشرب.

ولولا خشية الإطالة لذكرنا نُبذة من ذوقهم[٩] في سماعهم[١٠]، تدلُّ على ما ورائها. ولا يخفى على من له أدنى عقل[١١]، وحياة قلب، الفرق بين ذوق الآيات، وذوق الأبيات، وبين ذوق القيام بين يدي رب العالمين، والقيام بين

(١) في (س) (وتجلل).
(٢) القسم الثاني ورد في (ط) مختصر العبارة سأذكره: (والآخر، قد دخل دار الملك ورفع الستر بينه وبينه فقرت عينه واطمأنت نفسه، وخشع قلبه وجوارحه، وعبدالله كأنه يراه، وتجلى له في كلامه فهذه إشارة ما ونبذة يسيرة جداً في ذوق الصلاة).
(٣) (فنحن) ليس في (ط).
(٤) في (م) (الله) وليست في (ع) (س).
(٥) (بعض) ليست في (م).
(٦) في (س) (الصلاة).
(٧) قوله: (أو جزءاً -إلى قوله- شمة قط) ليست في (ط).
(٨) (في صلاتهم وسماعهم) ليست في (س) (ط).
(٩) في (س) (من قولهم).
(١٠) (في سماعهم) ليست في (ط).
(١١) (عقل) ليست في (ط).

يدي المغنين[1]، وبين ذوق اللذة والنعيم بمعاني ذكر الله تعالى والتلذذ بكلامه[2]، وذوق معاني الغناء، والتطريب[3] الذي هو رقية الزنا، وقرآن الشيطان[4]، والتلذذ بمضمونها فما اجتمع والله الأمران في قلب إلا وطرد أحدهما الآخر[5]، ولا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عز وجل عند رجلٍ واحد أبداً[6]، والله سبحانه وتعالى أعلم[7].

فصل[8]

فمتى تجيء[9] الأذواق الصحيحة المستقيمة إلى قلوب قد انحرفت أشد الانحراف عن هدي نبيها ﷺ، وتركت ما كان عليه هو[10] وأصحابه والسلف

(١) في (ط) (المغني).
(٢) العبارة في (ط) (ذكر الله وكلامه).
(٣) (التطريب) ليست في (ط).
(٤) (وقرآن الشيطان) ليست في (ط)، وفي (ع) (وقراءة الشيطان).
(٥) في (ط) (صاحبه).
(٦) هذا جزء من حديث المسور بن مخرمة ﷺ حينا أراد علي بن أبي طالب ﷺ خطبة بنت أبي جهل فاشتكت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقال هذا الكلام. والحديث رواه البخاري (٢٩٤٣، ٣٥٢٣)، ومسلم (٢٤٤٩).
(٧) (والله سبحانه وتعالى أعلم) ليس في (ط). وإلى هنا انتهى الكلام في النسخة (ط).
(٨) هذا الفصل جاء قبل الرسالة في النسخة (ط)، أي أنَّ هناك تقديم وتأخير في الفصول بين النسخ الثلاثة (س) (ع) (م) والنسخة (ط). كما إنَّ هذا الفصل جاء في (ط) مشتركاً في البداية مختلفاً في النهاية.
(٩) في (ع) (فعسى)، وفي (ط): (فمن أين تجيء).
(١٠) في (س) (ط) (ع) (وما كان عليه هو وأصحابه).

الصالح[١]، فإنهم[٢] كانوا يجدون الأذواق الصحيحة المتصلة بالله عز وجل في الأعمال[٣]: الصلاة[٤] المشروعة، وفي قراءة القرآن، وتدبره واستماعه، وأجر ذلك[٥]، وفي مزاحمة العلماء بالركب، وفي الجهاد في سبيل الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحب في الله والبغض فيه[٦]، وتوابع ذلك[٧]، فصار ذوق المتأخرين -إلا من عصمه الله- في اليراع[٨] والدُّف، والمواصيل، والأغاني المطربة من الصور الحسان[٩]والرقص، والضجيج، وارتفاع الأصوات[١٠]، وتعطيل ما يحبه الله، ويرضاه من عبادته المخالفة لهوى النفوس. فشتّان بين ذوق [الألحان وذوق القرآن وبين ذوق العود والطنبور، وذوق المؤمنين والنُّور، وبين ذوق الزَّمر وذوق الزمر، وبين ذوق

(١) في (ط) طبع المحقق الكلام بشكل خاطئ هكذا: (وما كان عليه هو وأصحابه؟ والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق..).

والحقيقة أن (السلف الصالح) معطوفة على الصحابة و(كانوا) تشمل أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح.

(٢) (فإنهم) ليست في (ط).

(٣) في (ع) (وأعمال الصلاة).

(٤) في (ط) (الصحيحة) وأظنها محرفة.

(٥) (وأجر ذلك) من (م).

(٦) قوله: (وفي مزاحمة -إلى قوله- والبغض فيه) من (ط).

(٧) (وتوابع ذلك) ليس في (م).

(٨) في (م) كلمة تشبه (السماع)، واليراع هو: القصبة التي ينفخ فيها الراعي.

والمواصيل: جمع موصول وهو القصب الذي يضرب به مع الأوتار. ولا تزال كلمة قريبة من هذه اللفظة تستخدم عند أهل العراق تطلق على المزمار وهي (الماصولة).

(٩) في (ط) (المستحسنة).

(١٠) بدل (الضجيج وارتفاع الأصوات) في (ط) (الزعقات).

الناي وذوق ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر:١] وبين ذوق المواصيل والشبابات[(١)] وذوق يس والصافات، وبين ذوق غناء الشعر وذوق سورة الشعراء، وبين ذوق سماع المكاء والتصدية وذوق الأنبياء.

وبين الذوق على سماع تُذكر فيه العيون السود والخصور والقدود، وذوق سماع سورة يونس وهود، وبين ذوق الواقفين في طاعة الشيطان على أقدامهم صواف، وذوق الواقفين في خدمة الرحمن في سورة الأنعام والأعراف، وبين ذوق الواجدين على طرب المثالث والمثاني[(٢)]، وذوق العارفين عند استماع القرآن العظيم والسبع المثاني، وبين ذوق أولى الأقدام الصافات في حظيرة سماع الشيطان، وذوق أصحاب الأقدام الصافات بين يدي الرحمن.

سبحان الله][(٣)] هكذا تنقسم والمواجيد، ويتميز خُلق المطرودين مِنْ خُلق العبيد، وسبحان المد لهؤلاء وهؤلاء من عطائه[(٤)] والمفارق[(٥)] بينهم في الكرامة[(٦)] يوم القيامة، فوالله لا يجتمع محبة سماع قرآن[(٧)] الشيطان ومحب

(١) نوع من أنواع (الزَمْر)
(٢) هذا وصف لأوتار العود.
(٣) ما بين [ ] من (ط).
(٤) العبارة في (م) (س) (ع): (الفارق القاسم بين الأذواق والمواجيد المميزة بين ذوق المطرودين وذوق العابدين الخاشعين فسبحان المد لهؤلاء وهؤلاء في عطائه)، (المواجيد) ليست في (ع).
(٥) في (ط) (والمفارق).
(٦) في (س) (ع) (إكرامه).
(٧) (قرآن) من (ع).

سماع(١) كلام الرحمن في قلب رجل واحد(٢) أبداً(٣).

[كما لا تجتمع بنت عدو الله وبنت رسول الله عند رجل واحد أبداً(٤).

أنتَ القتيلُ بكلِّ مَنْ أحببتــه   فاخترْ لنفسكَ في الهوى مَنْ تصطفي(٥)

سماع أهل الحق

كان أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم، إذا اجتمعوا واشتاقوا إلى حاد يحدو بهم، ليطيب لهم السير، ومحرك يحرك قلوبهم إلى محبوبهم، أمروا واحداً منهم يقرأ والباقون يستمعون، فتطمئن قلوبهم، وتفيض عيونهم ويجدون من حلاوة الإيمان أضعاف ما يجده السماعاتية من حلاوة السماع.

وكان عمر بن الخطاب إذا جلس عنده أبو موسى يقول: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيأخذ أبو موسى، في القراءة، وتعمل تلك الأقوال في قلوب القوم عملها، وكان عثمان بن عفان يقول: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله(٦).

وأي والله، كيف تشبع من كلام محبوبهم وفيه نهاية مطلوبهم؟ وكيف تشبع من القرآن؟ وإنما فتحت به لا بالغناء والألحان؟!

---

(١) (ولحب سماع) من (س) (ع).
(٢) (واحد) من (ط).
(٣) قوله: (والمفارق -إلى قوله- أبداً) ليس في (م).
(٤) مرّ الكلام عليه.
(٥) الشعر لابن الفارض في ديوانه ص(١٢٥).
وابن القيم يذكره مراراً في مؤلفاته مثل «حاشية ابن القيم على أبي داود» (٦/ ١٨١)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٣٩)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ٤٠٦)، «وروضة المحبين» (٧٠، ٤٢٢).
(٦) هذا الشعر ذكره ابن القيم في كتابه «الوابل الصيب» (١٣٧)، وفي «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٣) بلفظ:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحياناً فننتكس

إذا مَرضنا تداوينا بذكرِكُمُ   فإنْ تركناه زادَ السقم والمرض[١]

وأصحاب الطرب والألحان عن هذا كله بمعزل، هم في وادي والقوم في واد.

والضبُّ والنونُ قد يرجى التقاؤهما   وليسَ يُرجى التقاء الوحي والقصب][٢]

فأين حال[٣] من يطرب على سماع[٤] الغناء [والقصب بين المثالث والمثاني وذوقه ووجده إلى][٥] حال من يجد لذة السماع وروح [الحال، وذوق طعم الإيمان إذا سمع في حال إقبال قلبه على الله وأنسه به وشوقه إلى لقائه، واستعداده لفهم مراده من كلامه وتنزيله على حاله وأخذه بحظه الوافر منه قارئاً مجيداً حسن الصوت والأداء يقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝﴾ [طه:١-٧].

---

(١) أثر عثمان ﷺ ذكره في كتاب الزهد (١٢٨)، من زيادات عبدالله على أبيه وكذا في «فضائل الصحابة» (٧٧٥)، زيادات ابنه كذلك، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٢، ٣٠٠).

(٢) ما بين [ ] من (ط)، وهو من قوله: (كما لا تجتمع -إلى هنا).

(٣) (حال) من (ط) فقط.

(٤) في (ط) (بسماع).

(٥) ما بين [ ] من (ط) فقط.

وأمثال هذا النمط من القرآن الذي إذا صادف حياة في قلب صادق قد شمَّ رائحة المحبة وذاق حلاوتها، فقلبه لا يشبع من كلام محبوبه ولا يقر ولا يطمئن إلا به، كان موقعه من قلبه كموقع وصال الحبيب بعد طول الهجران، وحلَّ منه محلَّ الماء البارد في شدَّة الهجير من الظمأ، فما ظنّك بأرض حياتها بالغيث أصابها وابله، أحوج ما كانت إليه، فأنبت فيها من كلِّ زوج بهيج، قائم على سوقه يشكره ويثني عليه][(١)].

فهل يستوي عند الله تعالى وملائكته ورسوله والصادقين من عباده، سماع هذا وسماع هذا، وذوق هذا وذوق هذا، فأهل سماع الغناء عبيد نفوسهم الشهوانية، يعلمون السماع طلباً للذة النفس ونيلاً[(٢)] لحظها الباطل[(٣)]، فمن لم يميز بين هذين السماعين، والذوقين فليسأل ربه بصدق، رغبته[(٤)] إليه أن يحيي قلبه الميت، وأن يجعل له نوراً يستضيء به في ظلمات جهله، وأن يجعل له فرقاناً[(٥)] فيفرق به بين الحق والباطل، فإنّه قريب مجيب[(٦)].

---

(١) ما بين [ ] من (ط) وفي (ع) (س) (م): (حال من يجد لذّة السماع وروح الإيمان إذا سمع القرآن فهل يستوي..).

(٢) العبارة في (ط) جاءت هكذا (سماع هذا وسماع هذا، وذوقه وذوق صاحب سماع الغناء؟ من سماع أهله عبيد نفوس شهوانية، كان عقد مجلس اجتماعهم طلباً للذة النفوس ونيلاً لحظها..).

(٣) (الباطل) ليس في (ط).

(٤) (رغبته) ليست في (س) (ع).

(٥) العبارة في (ط) (يجعل له نوراً يمشي به في الناس ويفرق به بين..) وفي (م) بدل (فرقاناً)، (فرقاً).

(٦) (فإنه قريب مجيب) من (ط) فقط.

فصل

في التنبيه على نكتة خفية من نكت السماع[١]

نكتة خفية من نكات السماع

وفي السماع نكتة حقيقية[٢] أصلية[٣] يعرفها أهلها[٤]، ويجدونها بعد انقضائه[٥] وهي [أنّه قد علم الذائقون منهم[٦] أنّه ما[٧] وجد صادق في السماع الشعري وجداً، وتحرك به إلا وجد[٨] بعد[٩] انقضائه][١٠] ومفارقة المجلس قبضاً على قلبه[١١]، ونوع[١٢] استيحاش، وأحس ببعده وانقطاعاً وظلمة[١٣]، ولا يتفطن لهذا الأمر[١٤] إلا من في قلبه أدنى حياة وإلا: فما لجرح بميت إيلام[١٥]،

(١) هذا العنوان من (ط).
(٢) في (ع) (ط) خفية.
(٣) (أصلية) من (م).
(٤) (يعرفها أهلها) من (س) وفي (ع) (يعرفه أهله).
(٥) (ويجدونها بعد انقضائه) ليست في (ط).
(٦) في (م) (الذي يقول له) وهو تحريف.
(٧) في (س) (من).
(٨) في (س) (يجدونها).
(٩) في (ط) (م) (عند).
(١٠) ما بين [ ] ليس في (ع).
(١١) في (س) (ع) (عليه).
(١٢) في (م) (س) (ووجد نوع..).
(١٣) في (ط) (ببعده ولا يتفطن..) وفي (م) (وأحس بعده انقطاعاً).
(١٤) (الأمر) من (س) (ع).
(١٥) قوله: (أدنى -إلى قوله- إيلام) ليست في (م) وفي (ع) (قلبه أدنى حياة: وما لجرح بميت إيلام..) وهذا الشعر هو عجز لصدر معروف للشاعر أبي الطيب المتنبي (٤/ ٢١٧):

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

ولو سئل عن سبب هذا لم يعرفه؛ لأن قلبه[١] مغمور في السماع[٢] وذوقه الباطل؛ فهو غافل عن استخراج آلامه التي طرقته فيه[٣]، وعن أسباب فساد القلب منه، ولو وزنه بالميزان العدل لعلم من أين أتى، فاسمع الآن السبب الذي لأجله نشأ منه هذا القبض، وهذه الوحشة، والبعد.

لما كان السماع الشعري أعلى أحواله أن يكون ممتزجاً بحق[٤] وباطل، ومركباً من شهوة وشبهة، وأحسن أحوال صاحبه أن تأخذ[٥] الروح حظها المحمود منه، ممتزجاً بحظ النفس، والشيطان والهوى[٦] فهو غير صافٍ، ولا خالص، فامتزج نصيب الصادق فيه من[٧] الرحمن بنصيب الشيطان، واختلط حظ القلب بحظ النفس، هذا أحسن أحواله، فإنه مؤسس على حظ النفس والشيطان وهو فيه بذاته وهو نصيبه من الرحمن[٨] فهو فيه بالعرض، لوم يوضع عليه ولا أسس عليه فاختلط في وادي القلب الماء اليسر بالصافي بالماء الكثير الكدر[٩]، وغلب[١٠] الخبيث في الطيب[١١]، أو تجاورا[١٢] والتقت الواردات الرحمانية، والواردات الشيطانية.

---

(١) قوله: (ولو سئل -إلى قوله- قلبه) ليست في (م) (س).
(٢) في (ط) (معمور بحب السماع).
(٣) في (ط) (وذوقه ووجده عن استخراج فساد..).
(٤) في (ط) (من حق باطل).
(٥) في (ط) (أن لا تأخذ الروح).
(٦) (الهوى) ليس في (ط).
(٧) (الصادق فيه من) ليس في (ط).
(٨) في (ط) (وهو فيه بالذات وأما نصيب..).
(٩) في (ط) (الماءان: الماء الصافي والكدر).
(١٠) في (ط) (وتجاوز).
(١١) في (س) (الخبيث فيه على الطيب) وفي (ط) (الخبيث الطيب).
(١٢) (وتجاورا) ليست في (ط).

والمستمع الصاد لغلبة صدقه، وظهور أحكام القلب فيه يخفى عليه ذلك الوقت أثر الكدر ولا يشعر به سيما مع سُكر الروح به[١]، وغيبتها[٢] عن سوى مطلوبه، فلما أفاق من سكره، وفارق لذة السماع وطيبه، وجد اللوث والكدر الذي هو حظ[٣] النفس، والشيطان[٤]، وأثر جثوم الشيطان على قلبه فأثر فيه ذلك الأثر قبضاً، ووحشة، وأحس به[٥] بعداً وكلما كان أصدق وأتم طلباً[٦] كان وجوده لهذا أتم[٧] وأظهر فإن استعداده[٨])[٩] هو بحياة قلبه يوجب له الإحساس بهذا، ولا يدرى من أين أتى، وهذا له في الشاهد نظائر[١٠] وأشباه منها:

إنّ الرجل إذا اشتغل[١١] قلبه اشتغالاً تاماً بمشاهدة محبوب أو رؤية مخوف، أو لذةٍ مَلَكت عليه حسّه وقلبه، إذا[١٢] أصابه في تلك الحالة[١٣] ضربٌ، أو لسعٌ أو سببٌ مؤلم، فإنه لا يكاد يشعر به، فإذا فارقته[١٤] تلك

---

(١) في (ع) (م) (به حينئذ الإسماع) وفي (س) (حينئذ .. وغيبتها) بياض.
(٢) في (ط) (وغلبتها) وكلاهما محتمل.
(٣) في (ط) (أثر).
(٤) في (ط) (وأتم).
(٥) (أتم طلباً) من (ط) فقط.
(٦) في (ط) (بذلك).
(٧) (وأتم) من (ع) (س).
(٨) في (ط) (فاستعداده) بدل (فإنّ استعداده).
(٩) في (م) (قبضاً مستدركه هو الحياة) وما بين ( ) من (س) (ع) (ط).
(٦) في (م) (وهذا أوضح الشاهد لنظائر).
(١١) في (م) (لذا إذا اشتغل الرجل).
(١٢) (إذا) في (س) بياض.
(١٣) (الحال) في (ط) وفي (س) لا توجد.
(١٤) في (م) (أدار فيه).

الحالة[١] وجد منه ألم[٢] حتى كأنه أصابه[٣] تلك الساعة، فإنّه كان في مانع يمنعه من الإحساس بالألم[٤] فلما زال المانع أحس بالألم.

أهل الصدق إذا دخلوا في السماع الباطل

ولهذا[٥] كان بعض الصادقين[٦] إذا فارق السماع[٧] بادر إلى تجديد[٨] التوبة والاستغفار، وأخذ في أسباب التداوي التي يُدفع بها[٩] موجب أسباب القبض والوحشة والبعد[١٠].

وهذا[١١] القدر إنما يعرفه أولوا الفقه في الطريق [١٢]أصحابُ الفِطَنِ، المعتنون[١٣] بتكميل نفوسهم، ومعرفة أدوائِها وأدوِيتها والله المستعان[١٤].

(ولا ريب أن الصادق في سماع الأبيات قد يجد ذوقاً صحيحاً إيمانياً، ولكن ذلك بمنزلة من شرب عسلاً في إناء نجس.

والنفوس الصادقة ذوات الهمم العالية رفعت أنفسها عن الشراب في ذلك

---

(١) في (م) (الحال).
(٢) في (ع) (س) (م) (وجد ألم ذلك).
(٣) في (ع) (س) (م) (حتى كأنه إنما أصاب).
(٤) العبارة في (ط) (والألم لم يزل فيه لكن كان ثمَّ مانع يمنع من الإحساس به).
(٥) في (ط) (ولهذه النكتة).
(٦) في (ط) (الصادقين منهم).
(٧) في (س) (إذا فارقه بادر).
(٨) (تجديد) من (ط).
(٩) في (ع) (س) (م) (تدفع موجب).
(١٠) (والبعد) من (ط) فقط.
(١١) في (م) (ولهذا).
(١٢) في (م) (في الظن من أصحاب).
(١٣) في (م) (المعتنين).
(١٤) (والله المستعان) من (ط).

الإناء تقذراً له، ففرت منه لاستقامتها وطهارتها، وعلو همتها فهي لا تشرب ذلك الشراب إلا في إناء يناسبه، فإذا لم يجد إناء يناسبه صانت[(١)] الشراب عن وضعه في ذلك الإناء، وانتظرت أن يليق به.

وغيرها من النفوس تضع ذلك الشراب في أي إناء انفق لها؛ من عظام ميتة أو جلد كلب أو خنزير أو إناء خمر، طالما ما شرب به الخمر، أو لا يستحي الغراب[(٢)] أن يشرب أطيب شراب وألذه في هذه الآنية؟

ولو جرّد الصادق ذلك في حال سماعه لوجد ذوقه من ذلك، ولكن حلاوة العسل تغيب عنه نتنه وقذره وأثر قبحه على قلبه في تلك الحال، فبعد[(٣)] مفارقته يوجب له ذلك وحشةً وقبضاً، هذا إذا كان صادقاً في حاله مع الله وكان سماعه لله وبالله.

وأما إن كان كاذباً كان سماعه للذة نفسه وحظه فهو يشرب النجاسات في الآنية القذرات ولا يحس بشيء مما ذكرناه؛ لاستيلاء الهوى والنفس والشيطان عليه)[(٤)].

---

(١) في (م) (صان).

(٢) (الغراب) في (س) بياض.

(٣) في (م) (فدعت).

(٤) العبارة في (ط) مختلفة تماماً لذا اثبتها في الهامش بدل ما بين ( ).

(ولا ريب أن الصادق قد يجد في سماع الأبيات ذوقاً صحيحاً إيمانياً، ولكن ذلك بمثابة من سقى عسلاً في إناء نجس، كإناء من جلد ميتة غير مذكاة، والنفوس الصادقة التي علت هممها تنبو عن الشراب في ذلك الإناء وتقذره، وتأنف أن تشرب فيه، بل تطلب الشرب من إناء يصلح لذلك الشراب ويناسبه، فإن لم تجده صانت الشراب عن وضعه في ذلك الإناء وانتظرت به إناء يليق به.

وغيرها من النفوس تضع ذلك الشراب في أي إناء وجدته من عظام ميتة أو جلد ميتة وإناء خمر طالما شرب به الخمر، وأكلت فيه الميتة.

=

وأما صاحب السماع القرآني الذي تذوقه[١]، وشرب منه، فهو يشرب الشراب الطهور، الطيب النظيف[٢] في انظف إناءٍ، وأطيبه، وأطهره[٣].

فالآنية ثلاثة: نظيف، ونجس، ومختلط.

والشرابات[٤] ثلاثة: طاهر ونجس وممزوج.

القلوب ثلاثة

والقلوب ثلاثة: صحيح سليم فشرابه[٥] الشراب الطهور في الإناء النظيف، وسقيم مريض فشرابه[٦] الشراب النجس في الإناء القذر، وقلب فيه مادتان[٧].

إيمان ونفاق، فشرابه في إناء[٨] بحسب المادتين، وقد جعل الله لكل شيء

أفلا يستحي العارف أن يشرب أطهر الشراب وأطيبه في آنية المسكر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ ولوجود الصادق في حال سماعه ذلك الذوق وحلاوته يغيب عن قذارة الإناء ونجاسته ووضارته، فإذا فرغ من شربه وجد زهومة ذلك الإناء وآثار قذارته على قلبه، فيوجب له ذلك قبضاً ووحشة وبالله التوفيق.

هذا إذا كان صاحب السماع صادق في حاله مع الله وذوقه وكان سماعه بالله ولله، وأمّا إن كان سماعه للذة وحظ النفس فهو يشرب الماء النجس في الإناء القذر) اهـ

وضارته: أي وسخه، لسان العرب (٥/ ٢٨٤).

والزهومة هي الريح المنتنة، لسان العرب (١٢/ ٢٧٧).

(١) في (م) تذوقه.

(٢) (الطيب النظيف) ليست في (ط).

(٣) (وأطيبه وأطهره) ليست في (ط).

(٤) في (ط) (الشراب).

(٥) في (ط) (فشربه).

(٦) في (ط) (فشربه).

(٧) إلى هنا انتهت النسخة (م). وفي (ط): (وقلب فيه مادتان فشرابه وإناؤه بحسب المادتين وقد جعل الله لكل شيء قدراً).

(٨) في (ع) (بإناء).

قَدْراً، فالعارف مَنْ نظر في الأسباب إلى غاياتها ونتائجها، وتـأمل مقاصدهـا، وما تؤول إليه.

ومَنْ عرف مقاصد الشرع في سدِّ الذرائع المفضية إلى الحرام، قطع بتحريم هذا السماع، فإنَّ المرأة الأجنبية وسماع صوتها حرام، وكذلك الخلوة بها.

المحرمات في الشريعة

ومحرمات الشريعة (قسمان:

* قسم حُرِّم لما فيه من المفسدة[١].

* وقسم حُرِّم لأنه ذريعة)[٢] إلى ما اشتمل عليه من المفسدة[٣].

فمن نظر إلى صورة هذا المحرم، ولم ينظر إلى ما هو وسـيلة إليـه استشكل وجه التحريم[٤].

والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتـابعين لهـم بإحسـان إلى يـوم الدين، بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين)[٥].

---

(١) أي مفسدته لذاته فهو حرِّم لذاته.

(٢) ما بين ( ) ليس في (س).

(٣) أي حرِّم لغيره وليس لذاته.

(٤) هنا كتب في (س) بعد هذه الكلمة (آخرها) ثم كتـب (والله سـبحانه وتعـالى أعلـم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، تمت).

(٥) ما بين ( ) زيادة من (س) (ع) فقط.

وكتب آخر الرسالة (تم مقابلة على أصله)

وهكذا تمَّ الانتهاء من تحقيق هذه الرسالة القيمة بفضل الله ورحمته ومنته، وليس لمحققه أي فضل يُذكر، في عصر يوم الخميس السادس عشر من شـهر رمضـان المبـارك سـنة ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون من هجرة سيد ولد عدنان عليه أفضـل الصـلاة وأتم التسليم والحمد لله رب العالمين.

الملاحق والفهارس

- الملاحق
- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الأشعار
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات والمحتويات

الملحق رقم (١)

هذا الحديث أي حديث التشهد بعد الوضوء ثم يقول: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» أصل هذا الحديث التشهد فقط ورد عند مسلم (٢٣٤) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

أما بهذِهِ الزيادة فقد رواها الترمذي في سننه (٥٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ وهي رواية ضعيفة انفرد بها شيخ الترمذي (جعفر بن محمد) وهو وإن كان ثقة إلا أنه خالف بقية الرواة الثقات، لذا فروايته شاذة على مصطلح بعض أهل الحديث، ومنكرة على مصطلح آخرين.

وكل أهل العلم متفق على عدم صحّة هذه الرواية، ولكنَّ بعض أهل العلم يحسنها لشواهدها.

ولهذه الزيادة شواهد مرفوعة وموقوفة، أما المرفوع:

● شاهد عن ثوبان جاء بعدّة أسانيد:

الإسناد الأول: ما رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٨٩٥) حدثنا عيسى بن محمد السمسار حدثنا أحمد بن سهيل الوراق قال حدثنا مسور ابن مورع العنبري قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان، وهذا إسناد فيه ثلاث علل:

١. المسور بن مورع العنبري لا يعرف، كما قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٣٩).

٢. أحمد بن سهيل الوراق لم يوثقه غير ابن حبان.

٣. وسالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان.

وعندي شك أنّ في السند تحريف إذ أني رجعت إلى الطبراني الأوسط ورجعت إلى روايات شيخ الطبراني عيسى بن محمد السمسار الواسطي وهي من رقم (٤٨٨٦-٤٨٩٧)، أي هي (١٢) رواية، ويبدأ من رواية (٤٨٩٣) يحدث عن أحمد بن سهيل الوراق عن نعيم بن مورع العنبري، وكذا رواية رقم (٤٨٩٤) أما في روايتنا (٤٨٩٥) فيحدث عن أحمد بن سهيل الوراق عن مسور بن مورع العنبري.

وهذا تحريف قديم إما من شيخ الطبراني أو من أحمد بن سهيل الوراق، أو من غيرهما؛ لأن الهيثمي في المجمع ينقل أن الراوي هو (مسور بن مورع).

إذ لم أجد في الرواة على كثرة البحث مَنْ اسمه (مسور بن مورع العنبري) سيما وأني وجدت في ترجمة (نعيم بن مورع العنبري) في ميزان الاعتدال (٧ / ٤٥)، قال: (نعيم بن مورع العنبري عن الأعمش..) وكذا نقله عن الذهبي ابن حجر في اللسان.

وفي حالة كون الراوي هو (نعيم) وليس (مسور) وهو الراجح عندي، فنعيم هذا ضعيف قال عنه البخاري حديثه غير محفوظ، ونقل العقيلي عن البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي وقال ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث وعامة ما يرويه غير محفوظ، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال.

هذا هو حال (نعيم بن مورع العنبري).

الإسناد الثاني: ما رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣)، ومحمد ابن سنجر في مسنده كما في تاريخ بغداد (٥/ ٢٦٩)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٤٥)، الرافعي في «تاريخ قزوين» (٢/ ٣٤٢-٣٤٣) (٣/ ١٧٤). الطبراني في الكبير بنفس السند (١٤٤١) لكن دون ذكر هذه الزيادة.

ومدار هذه الرواية على أبي سعد البقال الأعور واسمه سعيد بن المرزبان وهو ضعيف مدلّس.

ورأيت كلاماً نفيساً يبين علّة هذه الرواية ما ذكره ابن أبي حاتم في علله (سألت أبي عن حديث رواه عبدالرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه كان جنازة .. الحديث.

قال أبي: هذا حديث خطأ، ليس الحديث من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن، وأبو سلمة عن ثوبان لا يجيء.

إنما هذا حديث يرويه أبو سلام عن ثوبان ويحيى بن أبي كثير يرويه عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام فيحتمل أن يكون أخذه عن زيد عن أبي سلام عن ثوبان عن النبي ﷺ وأسقط زيداً من الوسط، أو لم يحفظ عنه ولا أعلم روى أبو سلمة عن ثوبان إلا حديثاً يرويه أبو سعد البقال، وهو حديث منكر عن أبي سلمة عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله.

قال أبي: وأبو سعد البقال، لا أعلم سمع من أبي سلمة، ولا من أبي سلام، وإذا رأيت الرجل لا يروى عنه الثوري، ولا أراه قال: وشعبة وقد أدركاه فما ظنك به!) أ.هـ

كلام أبو حاتم واضح أنّ هذه رواية معلولة، وليس هناك روايات من أبي سلمة عن ثوبان إلا من طريق أبي سعد البقال، وهي رواية منكرة.

• شاهد عن أنس وابن عمر رضي الله عنهما رواه البيهقي في السنن الصغرى (١٢٢)، وفي سنده عبدالرحيم بن زيد العمي عن أبيه، وهي رواية كذّبها أهل العلم وتركوها.

• شاهد عن البراء بن عازب ﷺ ذكره ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٤٦) من رواية المستغفري في كتابه «الدعوات» وقال عنه: هذا حديث

غريب، وهو ورد ضمن الأحاديث التي ذكرت في الذكر عند كل عضو من الوضوء.

• ورواه كذلك ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٦١-٢٦٣) عن علي ابن أبي طالب وعزاه لابن منده في كتاب «الوضوء» وقال: حديث غريب، وعزاه كذلك للمستغفري في «الدعوات» والديلمي في «مسند الفردوس» وسنده تالف.

قلت: الإسنادين السابقين هي من الأحاديث التي حكم عليها أهل العلم بأنها لا أصل لها وأنها روايات باطلة، كما قال النووي ذلك في الأذكار والمجموع والمنهاج، وكذلك حكمِ غير النووي كابن القيّم وغيره عليها بالبطلان.

فعلى هذا فأسانيد الشواهد للحديث الشاذ أو المنكر كلّها غير صحيحة بل ضعيفة ولا تصلح كشاهد مرفوعاً.

بقي أن نذكر الشواهد الموقوفة:

١. شاهد علي بن أبي طالب فله سندان:

أ. طريق سالم بن أبي الجعد عن علي بن أبي طالب. وهذا سند منقطع فسالم ليس له رواية عن علي،

وهذه الرواية رواها ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠، ٢٩٨٩٤)، وعبدالرزاق في مصنفه (٧٣١)، والضبي في «الدعاء» (٦٢).

ب. طريق الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب، والحارث ضعيف جداً.

٢. شاهد حذيفة بن اليمان من طريق جويبر عن الضحاك وجويبر ضعيف جداً، وروايته عن الضحاك هي أسانيد مقلوبة، كما قال ابن حبان في المجروحين.

وهذه الرواية رواها ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥، ٢٩٨٩٧) وبعد ذلك أقول إن هذهِ الزيادة لا تصح لا مرفوعة ولا موقوفة، والحديث ضعيف، إنْ لم نقل ضعيف جداً وإن كان معناه سليماً ويندرج ضمن معنى شرعي، وإن مَنْ أراد العمل به تسمّح بتحسينه لأنه من باب الأذكار.

والحديث غير ثابت بل ضعيف إن لم نقل ضعيف جداً، وأعجب من عشرات المحققين المعاصرين الذين يذكرون العبارة التالية:

(الحديث رواه الترمذي وله شاهد من حديث ثوبان عند الطبراني) ولم يرجعوا للطبراني ويجدوا ما سند هذا الشاهد بل قلدوا بعضهم بعضاً.

ونفس الشيخ ناصر رحمه الله يقول في الإرواء (١/ ١٣٥): ولهذا الزيادة شاهدة من حديث ثوبان، رواه الطبراني[1] (١/ ٧٢/ ١) وابن السني في «اليوم والليلة» (رقم ٣٠) وفيه أبو سعد البقال الأعور وهو ضعيف) ا.هـ

ومع هذا وضعه في صحيح الترمذي، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الشيخ ناصر رحمه الله يشير إلى رواية الطبراني في الكبير، وقد مرّ بنا أنّ ليس للطبراني ذكر هذه الزيادة، وقد ذكر الهيثمي في المجمع (١/ ٢٣٩)، أن الطبراني رواه في الكبير مختصراً.

الملحق رقم (٢)

قال ابن القيّم في «مدارج السالكين» (١/ ١٦٢-١٦٥) طبعة جديدة: (وتقديم «العبادة» على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، و«الاستعانة» وسيلة إليها، ولأن «إياك نعبد» متعلق بألوهيته واسمه «الله» و«إياك نستعين» متعلق بربوبيته واسمه «الرب» فقدم «إياك نعبد» على «إياك نستعين» كما قدّم اسم «الله» على «الرب» في أول السورة ولأن «إياك نعبد» قسم الرب فكان من الشطر الأول، الذي هو ثناء على الله تعالى، لكونه أولى به، و«إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» قسم العبد، فكان من الشطر الذي له، وهو «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» إلى آخر السورة.

ولأن «العبادة» المطلقة: تتضمن «الاستعانة» من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ولا ينعكس، لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم، ولهذا كانت قسم الرب.

ولأن «الاستعانة» جزء من «العبادة» من غير عكس، ولأن «الاستعانة» طلب منه، و«العبادة» طلب له.

ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، و«الاستعانة» تكون من مخلص ومن غير مخلص.

ولأن «العبادة» حقه الذي أوجبه عليك، و«الاستعانة» طلب العون على العبادة، وهو بيان صدقته التي تصدّق بها عليك. وأداء حقه أهم من التعرض لصدقته.

ولأن «العبادة» شكر نعمته عليك، والله يحب أنْ يشكر، و«الإعانة» فعله بك وتوفيقه لك، فإذا التزمت عبوديته، ودخلت تحت رقها أعانك عليها، فكان التزامها والدخول تحت رقها سبباً لنيل الإعانة. وكلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم.

و«العبودية» محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبداً، حتى يقضي العبد نحبه.

ولأن «إياك نعبد» له، و«إياك نستعين» به، وما له مقدم على ما به، لن ما له متعلق بمحبته ورضاه، وما به متعلق بمشيئته، وما تعلق بمحبته أكمل مما تعلق بمجرد مشيئته، فإن الكون كله متعلق بمشيئته، والملائكة والشياطين والمؤمنون والكفار، والطاعات والمعاصي.

والمتعلق بمحبته: طاعاتهم وإيمانهم، فالكفار أهل مشيئته، والمؤمنون أهل محبته، ولهذا لا يستقر في النار شيء لله أبداً، وكل ما فيها فإنه به تعالى وبمشيئته.

فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم «إياك نعبد» على «إياك نستعين».

وأما تقديم المعبود والمستعان على الفعلين، ففيه: أدبهم مع الله بتقديم اسمه على فعلهم، وفيه الاهتمام وشدة العناية به، وفيه الإيذان بالاختصاص، المسمى بالحصر. فهو في قوة: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، والحاكم في ذلك ذوق العربية والفقه فيها، واستقراء موارد استعمال ذلك مقدماً، وسيبويه نص على الاهتمام ولم ينف غيره) ا.هـ.

الملحق رقم (٣)

تخريج الحديث المروي عن ابن عباس في الذكر بين السجدتين.

فقد روى أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤، ٢٨٥)، وابن ماجه (٨٩٨)، وأحمد (١/ ٣١٥، ٣٧١)، والطبراني في الكبير (١٢٣٦٣)، وفي الدعاء (٢/ ١٠٧٥)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٢٧)، وابن عدي (٣/ ٢٠٩) (٦/ ٨٢)، والحاكم في مستدركه (٩٦٤، ١٠٠٤)، وأبو أحمد الحاكم في «شعار أهل الحديث» (٧٧، ٧٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٦٧) وفي مصابيح السنة (١/ ٣٤٥)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٢٢)، وفي الدعوات (ص٦٠-٦١)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١٣٣)، والطوسي في «مستخرجه على الترمذي» (٢٧٠، ٢٧١).

والحديث مداره على كامل بن العلاء عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد ابن جبير أو حبيب عن ابن عباس.

وقد رمي الحديث بأربع علل:

الأولى: كامل بن العلاء هو التميمي السعدي، وثقه ابن معين، ويعقوب ابن سفيان، وقال النسائي: ليس بالقوي، وفي موضع آخر: ليس به بأس.

وقال ابن عدي: رأيت في بعض رواياته أشياء أنكرتها، وأرجو أن لا بأس به.

وقال ابن حبان: كان ممن يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل من حيث لا يدري، فلما فحش ذلك من أفعاله بطل الاحتجاج بأخباره، ثم أورد له هذا الحديث.

وكذا الذهبي أورده في الميزان (٣/ ٤٠٠) في ترجمة كامل بن العلاء.

وقال العقيلي في الضعفاء (٨/٤): ما سمعت عبدالرحمن -أي ابن مهدي- يحدث عن كامل أبي العلاء شيئاً قط.

قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١/ ٢٥٨): (وفيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه) أما ابن رجب الحنبلي فذكر في فتح الباري (٧/ ٢٧٥): (في إسناده كامل أبو العلاء وثقه ابن معين وغيره، وقال النسائي: ليس بالقوي، وتكلم فيه غير واحد) ا.هـ

الثانية: ما ذكره الترمذي عقب الحديث، وروى بعضهم هذا الحديث عن كامل أبي العلاء مرسلاً.

وقال ابن رجب في فتح الباري: وقد اختلف عليه في وصله وإرساله.

الثالثة: حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس كثير الإرسال، وقد عنعن في كل الروايات[1] التي عثرنا عليها، وقد عدّه ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين، وهي الطبقة التي عنعنتها غير مقبولة إلا بعد أن يثبت تحديثها، وحبيب رواه مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ومرة عن ابن عباس مباشرة.

ولم أقرأ من رماه بالتدليس سوى البوصيري في مصباح الزجاجة.

ومحقق مستخرج الطوسي على الترمذي: (أنيس بن أحمد الأندونوسي) وفوزي بن عبدالله الأثري صاحب كتاب «سراج المتقين في صفة صلا خاتم المرسلين».

الرابعة: الاختلاف في متنه فكل الروايات السابقة تذكر (اغفر لي

(١) سيمر بنا أنّه في رواية ابن ماجه لم يعنعن.

وارحمني) وأما بقية ألفاظه فمختلف فيها وسأذكر هذا الخلاف في جدول.

وقد أجاب أهل العلم عن هذه العلل بالتالي:

العلة الأولى: كامل بن العلاء، فقد أشار الضياء المقدسي في المختارة إلا أن توثيق ابن معين أقوى من تجريح ابن حبان، وأن حديثه محتمل للتحسين، وهذا ما مال إليه ابن عدي بقوله: وأرجو أن لا بأس به.

أما المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٢/ ١٤١)، فرد مَنْ جرحه بقوله: فقول النسائي ليس بالقوي جرح مبهم ثم هو معارض بقوله: ليس به بأس وأما قول ابن حبان فردّه بقوله: غير قادح فإنّه متعنت ومسرف كما تقرر في مقره، فحديثه هذا إن لم يكن صحيحاً فلا ينزل عن درجة الحسن.

وأما العلة الثانية: فلم أجد من ردّها وسبب ذلك عندي أنّ مَنْ وصله أكثر وأعرف ممن أرسله.

وأما العلة الثالثة: فلم أجد من تكلّم بها سوى المذكورين ولا مَنْ ردها ولعل ذلك أنهم وجدوا تصريحاً بالتحديث في احدى الروايات، وفعلاً فقد وردت رواية ابن ماجه هكذا:

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا إسماعيل بن صبيح عن كامل أبي العلاء قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

فقد صرّح أن حبيب حدّث عن سعيد، وبذا تخلصنا من تدليس حبيب.

وإسماعيل بن صبيح صدوق، وأبو كريب محمد بن العلاء ثقة حافظ.

أو لعلهم وجدوا أنّ البخاري ومسلم خرجوا له من رواياته عن سعيد بن جبير بالعنعنة والله أعلم.

أما إرساله الحديث وروايااته مرة عن سعيد ومرة عن ابن عباس، فقد ثبّت سماعه من ابن عباس علي بن المديني.

وأما العلّة الرابعة: فقد أهملت من الجميع مع أنها تشكل اضطراباً في أحد الرواة وقد حاولت تتبع سبب هذا الاضطراب فلعله من تلاميذ كامل أبو العلاء فوجدت الثقات والضعفاء يختلفون اختلافاً واسعاً، وتبين لي أن الاضطراب مردّه هو كامل أبو العلاء وإن ما استقر جميع الرواة عليه هو لفظه: (اللهم اغفر لي وارحمني) وأما بقية الألفاظ فسيوضح الجدول مدى الاختلاف بين الروايات وقبل ذكر الجدول فسأذكر أقوال أهل العلم في الحديث:

مَن حكم بضعفه: الترمذي بقوله (غريب) وعلى قاعدة العراقي أن ما حكم الترمذي بغرابته فهو حديث ضعيف.

ابن حجر حكم بغرابته في «نتائج الأفكار» (٢/ ١١٥)، وقال في تلخيص الحبير (١/ ٢٥٨) وفيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه والبوصيري أعلّه بتدليس حبيب.

وابن رجب لم يصرح بتضعيفه بل لمح، وقد سبق ذكره.

وممن صححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي، والشيخ ناصر رحمه الله في «صفة صلاة النبي».

وممن حَسَّنه النووي في «الأذكار» ومحققوا مسند أحمد، أما المباركفوري فقد اعتبر الحديث بين الحسن والصحيح.

وذكر الضياء للحديث في المختارة يعني أنه صحيح أو حسن لأنه اشترط ذلك في الأحاديث التي وضعها في كتابه.

أما رأيي القاصر فأقول:

أنّ الحديث من الصعب تصحيحه ففيه العلاء، والاضطراب في المتن ويمكن الحكم عليه إما بالضعف أو التحسين.

أما معناه فصحيح ثابت وألفاظه وردت في أحاديث ثابتة أخرى في مسلم وغيره ولكن في غير هذا الموضع الذي ذكر فيه حديثنا.

كما أنّ الحديث من أحاديث الأذكار التي يتسمّح فيها أهل الحديث أكثر من أحاديث الأحكام.

بقي أن أقول أن لحديثنا شواهد موقوفة عن:

١. علي بن أبي طالب ﷺ رواه الشافعي في الأم (٧/ ١٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٨٣٧)، وعبدالرزاق في المصنف (٣٠٠٩)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٩٠)، والبيهقي في السنن (٢/ ١٢٢)، وفي الطبراني في «الدعاء» (٦٠٥)، ومداره على الحارث الأعور وهو متروك وروايته عن علي ضعيفة جداً.

وهناك رواية عند البيهقي في السنن (٢/ ١٢٢) عن سليمان التيمي بلغني أن علياً، فهو منقطع.

٢. كما ورد عن مكحول عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٧٣٨)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣٠١٠).

وأكرر القول أن منزلة هذا الحديث بين الحسن والضعف، وأن الحديث الثاني أي حديث حذيفة هو الحديث الثابت أقصد حديث «رب اغفر لي رب اغفر لي».

فهذا الحديث هو الأصل الثابت في الباب، وحديث ابن عباس منزلته اقل

من حديث حذيفة.

والآن سأضع الجدول ليرى القارئ مدى اضطراب كامل أبو العلاء في الرواية:

الراوي	اغفرلي	ارحمني	اهدني	عافني	اجبرني	ارزقني	ارفعني
الترمذي	×	×	×	–	×	×	–
أبو داود	×	×	×	×	–	×	–
ابن ماجه	×	×	–	–	×	×	×
أحمد	×	×	×	–	–	×	×
أحمد	×	×	×	–	×	×	×
الطبراني	×	×	×	–	×	×	×
الطبراني	×	×	×	×	×	×	–
ابن حبان[1]	×	×	–	×	×	×	–
ابن عدي	×	×	–	–	×	–	×
ابن عدي	×	×	×	×	×	×	–
الحاكم	×	×	×	×	–	×	–

(١) وردت في ابن حبان في المجروحين زيادة (وانصرني).

الحاكم	×	×	×	–	×	×	×
أبو احمد الحاكم	×	×	×	×	×	×	–
أبو أحمد الحاكم	×	×	–	–	×	×	×
البيهقي	×	×	×	–	×	×	×
الضياء المقدسي	×	×	×	–	×	–	–
الطوسي	×	×	–	–	×	–	–
الطوسي	×	×	×	–	×	×	–

والملاحظ في هذا الجدول أن لفظة (اغفر لي وارحمني) مشتركة عند الجميع وأن لفظة (وارزقني) جاءت أكثر ثم (اهدني) ثم (ارفعني) ثم (عافني) وانفرد ابن حبان في المجروحين بلفظة (وانصرني).

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
الحمدلله رب العالمين	الفاتحة (١)	٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٥
الرحمن الرحيم	الفاتحة (٢)	٧٨، ٨٣، ٨٥
مالك يوم الدين	الفاتحة (٣)	٧٨، ٨٤
إياك نعبد وإياك نستعين	الفاتحة (٤)	٧٨، ٨٦
إهدنا الصراط المستقيم	الفاتحة (٥)	٧٨، ٨٨
واركعوا مع الراكعين	البقرة (٤٣)	٩٨
إن الله يحب التوابين	البقرة (٢٢٢)	٧١
وقوموا لله قانتين	البقرة (٢٣٨)	٩٨
قال نعم وإنكم لمن المقربين	الأعراف (١١٤)	١٢٦
فسبح بحمد ربك	الحجر (٩٨)	٩٨
وقرآن الفجر	الإسراء (٧٨)	٩٨
طه.. وأخفى	طه (١-٧)	١٣٣
إن لنا لأجراً	الشعراء (٤١)	١٢٦
قل الحمدلله وسلام	النمل (٥٩)	١١١
فويل للقاسية قلوبهم	الزمر (٢٢)	٦٠
وقضي بينهم بالحق	الزمر (٧٥)	٨٥
ربنا وسعت كل شيء	غافر (٧)	٨٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
ولكل درجات مما عملوا	الأحقاف (١٩)	٦٨
اقتربت الساعة وانشق	القمر (١)	١٣٠
فاسعوا إلى ذكر الله	الجمعة (٩)	٩٩
لا تلهكم أموالكم	المنافقون (٩)	٩٩
قم الليل إلا	المزمل (٢)	٩٨
فاقرؤوا ما تيسر منه	المزمل (٢٠)	٩٨
وإذا قيل اركعوا	المرسلات (٤٨)	٩٨
اقرأ باسم ربك	العلق (١)	٩٩
واسجد واقترب	العلق (١٩)	٩٨

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
أثنى عليّ عبدي	٨٥
إذا دعا أحدكم فليبدأ	١١٤
أشهد أن لا إله إلا الله (هامش)	٧١
أقرب ما يكون العبد من	٩٧
اللهم اجعلني من التوابين	٧١
إن جميع الخلائق يحمدونه	٨٥
إن الله يكره الرجل (هامش)	٦٣
إن الله تعالى قال على لسان نبيه	٨٠
أن يسأل الله لرسوله الوسيلة	١١٤
أن يقول كما يقول المؤذن	١١٤
رب اغفر لي رب اغفر	١٠٠
رضيت بالله رباً وبالإسلام	١١٤
سبحان الله وبحمده سبحان الله	١٠٩
سبحان الله والحمدلله	١٠٩
سبحانك اللهم وبحمدك	٧٤، ١٠٨
فإذا قلت ذلك فقد	١١٢
فاقع ساجد فيلهمني	٨٣
كان رسول الله ﷺ يطيل الجلوس بين	٩٩

الحديث	الصفحة
لا أحصي ثناءً عليك (هامش)	٨٢
لا تجتمع بنت رسول	١٢٩، ١٣١
لأن أقول سبحان الله والحمد (هامش)	١٠٩
لربي الحمد، لربي الحمد	٩٦
مثل الذي لا يتم ركوعه (هامش)	١٠٤
من قال لا إله إلا الله (هامش)	١١٣
من كان آخر كلامه لا	١١٣
وجعلت قرة عيني في الصلاة	١٢٣
يا بلال أرحنا بالصلاة	١٢٣، ١٢٤

فهرس الآثار

الأثر	قائله	الصفحة
ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت	أثر إلهي	٦٩
ابن آدم خلقتك لنفسي فلا	أثر إلهي	٦٩
إن جبرائيل يقول كل ليلة	أثر	٨٤
إني لأكره أن أرى (هامش)	عبدالله بن مسعود	٦٣
قال ابن عمر لمن خطب ابنته	ابن عمر	١٠٢
كان أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم	-	١٣٢
لقد تجلى الله لعباده	جعفر الصادق	١١٩
لو طهرت قلوبنا	عثمان بن عفان	١٣٢
هل يسجد القلب	سهل بن عبدالله	٩٧-٩٨
يا أبا موسى ذكرنا	عمر بن الخطاب	١٣٢

فهرس الأشعار

البيت	القافية	القائل	الصفحة
والضب والنون	والقصب	لا يعرف	١٣٢
أنت القتيل بكل	أبداً	ابن الفارض	١٣١
إذا مرضنا تداوينا (هامش)	فننتكس	لا يعرف	١٣٢
إذا مرضنا تداوينا	والمرض	لا يعرف	١٣٢
لك الحمد إما على نعمة	تدفع	(من الجن)	٨١
من يهن يسهل	إيلام	المتنبي	١٣٥

فهرس المصادر والمراجع

مؤلفات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم

– أحكام أهل الذمة، ابن القيّم، رمادى، ابن حزم، يوسف البكري، شاكر العاروري ١٤١٨هـ.

– إعلام الموقعين، ابن القيّم، دار الجيل، طه عبدالرؤوف سعد، ١٩٧٣م.

– إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيّم، دار المعرفة، محمد حامد الفقي.

– اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيّم، دار الكتب العلمية، محمد حامد الفقي.

– التبيان في أقسام القرآن، دار الكتب العلمية.

– الروح، ابن القيّم، دار الكتب العلمية، محمد علي عجال، ١٣٩٥هـ.

– الصلاة وحكم تاركها، ابن القيّم، الجفان والجابي، ابن حزم، بسام الجابي، ١٤١٦هـ.

– الفوائد، ابن القيّم، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ.

– الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ابن القيّم، دار الرشد، إياد بن عبداللطيف بن إبراهيم القيسي، ١٤٢٢هـ.

– بدائع الفوائد، ابن القيّم، مكتبة الباز، ١٤١٦هـ.

– تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيّم، دار البيان، عبدالقادر الأرناؤوط، ١٣٩١هـ.

– جلاء الأفهام، ابن القيّم، دار العروبة، شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، ١٤٠٧هـ.

– حاشية ابن القيّم على سنن أبي داود، ابن القيّم، دار الكتب العلمية.

– جامع الرسائل، ابن تيمية، مكتبة التراث الإسلامي، محمد رشاد سالم، ١٤٠٣هـ.

– مفتاح دار السعادة، ابن القيّم، دار الكتب العلمية.

- مدارج السالكين، ابن القيّم، دار الكتاب العربي، محمد حامد الفقي، ١٣٩٣هـ.
- مدارج السالكين، ابن القيّم،دار طيبة، عبدالعزيز ناصر الجليل، ١٤٢٣هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.
- عدة الصابرين، ابن القيّم، دار الكتب العلمية، زكريا علي يوسف، ١٤٠٦هـ.
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن القيّم، المكتب الإسلامي، مكتب فرقد الخاني، محمد عفيفي، ١٤٠٦هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيّم، دار ابن القيّم، عمر محمد أبو عمر، ١٤١٤هـ.
- شفاء العليل، ابن القيّم، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- زاد المعاد، ابن القيّم، مؤسسة الرسالة، شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، ١٤٠٧هـ.
- روضة المحبين، ابن القيّم، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.
- فوائد حديثية، ابن القيّم، دار ابن الجوزي، مشهور حسن سلمان، إياد عبداللطيف القيسي، ١٤١٦هـ.
- الكلام على مسألة السماع، ابن القيّم، دار العاصمة، راشد عبدالعزيز الحمد، ١٤٠٩هـ.
- كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، ابن القيّم، مكتبة السنة، ربيع أحمد خلف، ١٤١١هـ.
- الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن، ابن القيّم، دار الصحابة للتراث، مجدي فتحي السيد، ١٤١٠هـ.

المراجع العامة

– إرواء الغليل، الألباني، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.

– الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، در الراية، د.باسم الجوابرة، ١٤١١هـ.

– الأحاديث المختارة، الضياء المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، د.عبدالملك الدهيش، ١٤١٠هـ.

– الأحاديث الطوال، الطبراني، مطبعة الأمة، حمدي عبدالمجيد السلفي، ١٤٠٤هـ.

– أخبار مكة، الفاكهي، دار خضر، د.عبدالملك الدهيش، ١٤١٤هـ.

– الإصابة، ابن حجر، دار الجيل، علي محمد البجاوي، ١٤١٢هـ.

– اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، دار طيبة، د.أحمد سعد حمدان، ١٤٠٢هـ.

– بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيّم الجوزية، يسري السيد، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.

– البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعارف، ١٤١٢هـ.

– التاريخ الكبير، البخاري، دار الفكر، السيد هاشم الندوي.

– تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

– تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

– تحفة الأحوذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية.

– تحفة التحصيل في ذكر الرواة المراسيل، ابن العراقي، الرشد، عبدالله نوارة، ١٤١٩هـ.

– تدريب الراوي، السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة، عبدالوهاب عبداللطيف.

– التدوين في أخبار قزوين، الرافعي، دار الكتب العلمية، عزيز الله العطاردي،

١٩٨٧م.

– الترغيب والترهيب، المنذري، دار الكتب العلمية، إبراهيم شمس الدين، ١٤١٧هـ.

– تعظيم قدر الصلاة، المروزي، مكتبة الدار، د.عبدالرحمن الفريوائي، ١٤٠٦هـ.

– تغليق التعليق، ابن حجر، المكتب الإسلامي، دار عمار، سعيد القزقي، ١٤٠٥هـ.

– تفسير ابن كثير، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

– تفسير الطبري، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

– تفسير القرطبي، دار الشعب، أحمد عبدالعليم البردوني، ١٣٧٢هـ.

– التمهيد، ابن عبدالبر، وزارة عموم أوقاف والشؤون الإسلامية، مصطفى بن أحمد العلوي حمد عبدالكريم البكري، ١٣٨٧هـ.

– تقريب التهذيب، ابن حجر، دار الرشيد، محمد عوامة، ١٤٠٦هـ.

– تلخيص الحبير، ابن حجر، السيد عبدالله هاشم اليماني، ١٣٨٣هـ.

– تنزيه الشريعة، ابن عرّاق.

– تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، ١٤٠٤هـ.

– تهذيب الكمال، المزي، مؤسسة الرسالة، د.بشار عواد، ١٤٠٠هـ.

– الثقات، ابن حبان، دار الفكر، السيد شرف الدين أحمد، ١٣٩٥هـ.

– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، د.محمود الطحان، ١٤٠٣هـ.

– الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث، ١٣٧١هـ.

– جامع العلوم والحكم، ابن رجب، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.

- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد عزير شمس، علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ١٤٢٢هـ.

- حديث قُس بن ساعدة، ابن درستويه.

- حلية الأولياء، أبو نعيم، دار الكتاب العربي.

- الدعاء، الطبراني، دار الكتب العلمية، مصطفى عبدالقادر عطا، ١٤١٣هـ.

- دلائل النبوة، البيهقي.

- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني.

- ديوان أبن الفارض

- ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، المعرفة.

- الرسائل المتبادلة بين جمال القاسمي ومحمود شكري الألوسي، دار البشائر الإسلامية، محمد بن ناصر العجمي، ١٤٢٢هـ.

- الزهد، ابن المبارك، دار الكتب العلمية، حبيب الرحمن الأعظمي.

- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

- الزهد، هناد بن السري، دار الخلفاء الإسلامي، د.عبدالرحمن الفريوائي، ١٤٠٦هـ.

- الزهيد الكبير، البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، عامر أحمد حيدر، ١٩٩٦م.

- السنة، ابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، الألباني، ١٤٠٠هـ.

- سنن الدارقطني، دار المعرفة، هاشم اليماني، ١٣٨٦هـ.

- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، فواز زمرلي، خالد العلمي، ١٤٠٧هـ.

- سنن النسائي (المجتبى)، مكتبة المطبوعة الإسلامية، عبدالفتاح أبو غدة، ١٤٠٦هـ.

- سراج المتقين في صفة صلاة خاتم المرسلين، فوزي الأثري.

- السنن الكبرى، النسائي دار الكتب العلمية، د.عبدالغفار البنداري، سيد كسروي حسن، ١٤١١هـ.
- سنن البيهقي الكبير، البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، عامر أحمد حيدر، ١٩٩٦م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، مجموعة محققين مع الشيخ شعيب الأرناؤوط، ١٤١٣هـ.
- الشكر، ابن أبي الدنيا، المكتب الإسلامي، بدر البدر، ١٤٠٠هـ.
- شعار أصحاب الحديث، أبو أحمد الحاكم، دار الخلفاء، صبحي السامرائي.
- شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، محمد بسيوني زغلول، ١٤١٠هـ.
- صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، د.محمد مصطفى الأعظمي، ١٣٩٠هـ.
- صحيح ابن حبان (الترتيب)، مؤسسة الرسالة، شعيب الأرناؤوط، ١٤١٤هـ.
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث، محمود فؤاد عبدالباقي.
- صحيح البخاري، دار ابن كثير، د.مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته للسيوطي، الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، الألباني، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.
- صفة صلاة النبي، الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.
- ضعفاء العقيلي، دار الكتب العلمية، عبدالمعطي قلعجي، ١٤٠٤هـ.
- ضعيف الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر.
- طبقات المدلسين، ابن حجر، مكتبة المنار، د.عاصم القريوتي، ١٤٠٣هـ.
- العلل المتناهية، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، خليل الميس، ١٤٠٣هـ.

- علل الترمذي الكبير، أبو طالب القاضي، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.
- علل الدارقطني، دار طيبة، د.محفوظ الرحمن السلفي، ١٤٠٥هـ.
- العلل، ابن أبي حاتم، دار المعرفة، محب الدين الخطيب، ١٤٠٥هـ.
- الفصل للوصل المدرج، الخطيب البغدادي، دار الهجرة، محمد مطر الزهراني، ١٤١٨هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، ١٣٧٩هـ.
- فتح الباري، ابن رجب، مكتبة الغرباء الأثرية، تحقيق مجموعة من المحققين، ١٤١٧هـ.
- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، عبدالله الجبوري، ١٩٧٤م.
- فضائل الصحابة، ابن حنبل، مؤسسة الرسالة، د.وصي الله محمد عباس، ١٤٠٣هـ.
- فيض القدير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
- الكامل في الضعفاء، ابن عدي، دار الفكر، يحيى مختار الغزاوي، ١٤٠٩هـ.
- كتاب الدعاء، الضبي، الرشد، د.عبدالعزيز بن سليمان، ١٤١٩هـ.
- كشف الخفا، العجلوني، مؤسسة الرسالة، أحمد القلاشي، ١٤٠٥هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي للتراث، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، محمود خاطر، ١٤١٥هـ.
- اللآلي المصنوعة، السيوطي.

– المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتب العلمية، مصطفى عبدالقادر عطا، ١٤١١هـ.

– موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية، خمسة باحثين، سلسلة إصدارات الحكمة، ١٤٢٢هـ.

– محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، محمد بهجة الأثري، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٨م.

– المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، حمدي عبدالمجيد السلفي، ١٤٠٤هـ.

– المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، طارق بن عوض، عبدالمحي الحسيني، ١٤١٥هـ.

– المعجم الصغير، الطبراني، المكتب الإسلامي، دار عمار، محمود شكور محمود، ١٤٠٥هـ.

– معجم الصحابة، ابن قانع، مكتبة الغرباء الأثرية، صلاح بن سالم المصراتي، ١٤١٨هـ.

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، ١٤٠٧هـ.

– موضح أوهام الجمع والتفريق، الخطيب البغدادي، دار المعرفة، د.عبدالمعطي قلعجي، ١٤٠٧هـ.

– موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، محمد فؤاد عبدالباقي.

– ميزان الاعتدال، الذهبي، دار الكتب العلمية، الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل عبدالموجود، ١٩٩٥.

– مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث، حسين سليم أسد، ١٤٠٤هـ.

- مسند أحمد، مؤسسة قرطبة.
- مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، تحقيق مجموعة من طلبة العلم مع الشيخ شعيب الأرناؤوط، ١٤١٦هـ.
- مسند إسحاق بن راهويه، مكتبة الإيمان، د.عبدالغفور البلوشي، ١٤١٢هـ.
- مسند علي بن الجعد، مؤسسة نادر، عامر احمد حيدر.
- مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، د.محفوظ الرحمن السلفي، ١٤٠٩هـ.
- مسند الحميدي، دار الكتب العلمية، حبيب الرحمن الأعظمي.
- مسند الشاميين، الطبراني، مؤسسة الرسالة، حمدي عبدالمجيد السلفي، ١٤٠٥هـ.
- مسند الشهاب، القضاعي، مؤسسة الرسالة، حمدي عبدالمجيد السلفي، ١٤٠٧هـ.
- مسند الطيالسي، دار المعرفة.
- مسند عبد بن حميد، مكتبة السنة، صبحي السامرائي، محمود الصعيدي، ١٤٠٨هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة، دار الرشد، كمال يوسف الحوت، ١٤٠٩هـ.
- مصنف عبدالرزاق، المكتب الإسلامي، حبيب الرحمن الأعظمي، ١٤٠٣هـ.
- مصباح الزجاجة، دار العربية، محمد المنتقي الكشناوي، ١٤٠٣هـ.
- منهج ابن القيّم في الدعوة إلى الله تعالى، د.أحمد بن عبدالعزيز الحلف، أضواء السلف، ١٤١٩هـ.
- موضوعات، ابن الجوزي.
- المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ١٤٢٢هـ.

– نتائج الأفكار، ابن حجر، مكتبة المثنى، المجلد الأول، ١٤٠٥هـ.

– نتائج الأفكار، ابن حجر، مكتبة ابن تيمية، المجلد الثاني، ١٤١١هـ.

– نوادر الأصول، الحكيم الترمذي، دار الجيل، د.عبدالرحمن عميرة، ١٩٩٢م.

– المخطوط: رياض الناظرين في رسائل المعاصرين، لعلامة العـراق محمود شكـري الألوسي، النسخة الخطية الوحيدة في دار صدام رقم (٨٥٣٤) في (٥٥٣ صفحة).

فهرس الموضوعات والمحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
مقدمة في الجهود التي بذلت حول كتابات شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيّم	٩
في البحث والتنقيب ونشر رسائل وكتب ومؤلفات الشيخين العظيمين	١١
بين يدي، كتاب أسرار الصلاة	١٩
تسمية الرسالة	٢٣
صحة نسبة الكتاب لابن القيّم	٢٥
متى ألف ابن القيّم هذه الرسالة	٢٧
عملي في الكتاب	٢٧
الأصول المعتمدة في تحقيق الكتاب	٣٠
فهرس بمصنفات الإمام ابن قيم الجوزية	٣٤
صور المخطوطات	٤١
النص المحقق	٥٤
الصلاة قرة عيون المحبين	٥٥
الصلاة رحمة الله المهداة للمؤمنين	٥٦
على العبد أن يقبل على ربه في الصلاة	٥٦
العبد ممتحن بالشهوة وأشباهها	٥٧
كل فعل من أفعال الصلاة يكفر لمذموم إزائه	٥٧
العبد يخرج من الصلاة وقد شبع وارتوى	٥٨

الموضوع | الصفحة

تشبيه القلب بالأرض الجدباء........ ٥٨
القلب دائم الطلب من الله........ ٥٩
الغفلة هي قحط القلوب........ ٥٩
القلب ييبس إذا خلا من توحيد الله........ ٦٠
الناس ثلاثة أقسام في استعمال جوارحهم........ ٦١
الصلاة وضعت لاستعمال جميع الجوارح للعبودية وهم القسم الأول........ ٦١
من استعمل جوارحه فيما لم تخلق له........ ٦٢
من عطل جوارحه وهم القسم الثالث........ ٦٢
تمثيل للقسم الأول........ ٦٣
تمثيل للقسم الثاني........ ٦٤
تمثيل للقسم الثالث........ ٦٥
الثلاثة هم أهل اليقظة والغفلة والخيانة........ ٦٥
نتيجة الأول........ ٦٥
نتيجة الثاني........ ٦٦
نتيجة الثالث........ ٦٦
الله دعا الخلق للصلاة رحمة بهم........ ٦٧
ما هو سر الصلاة وتمثيل لذلك........ ٦٧
تمثيل للمصلي كالواقف بين يدي الملك........ ٦٨
الإنسان خلق لعبادة الله........ ٦٩
آثار إسرائيلية صحيحة المعنى على ذلك........ ٦٩

الموضوع	الصفحة

ما بين الصلوات الخمس تحدث الغفلة ٧٠
الكلام عن الوضوء ٧٠
للوضوء ظاهر وباطن ٧٠
حكمة الوضوء الدخول بطهارة إلى الله ٧١
من تمام العبودية الذهاب للمسجد ٧١
العبد في غفلته كالعبد الآبق عن سيده ٧٢
عبودية التكبير (الله أكبر) ٧٢
وصف للتكبير المطلوب من العبد ٧٣
في التكبير يجب أن يواطئ القلب اللسان ٧٣
عبودية الاستفتاح ٧٤
لماذا شرعت الاستعاذة ٧٤
الشيطان حاسد للإنسان متفرغ له ٧٥
العبد لا طاقة له بالشيطان ٧٥
نصيحة شيخ الإسلام لابن القيّم ٧٦
النفس منفعلة للشيطان سامعة له ٧٧
حال العبد في القراءة ٧٧
حال العبد في الفاتحة ٧٧
لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ٧٨
الكلام على معاني الحمد ٧٩
الله سبحانه هو الذي ألهم العبد الحمد ٨٠

الموضوع	الصفحة

الله المحمود على كل شيء ٨٠
عبودية (رب العالمين) ٨٣
عبودية (الرحمن الرحيم) ٨٣
عبودية (مالك يوم الدين) ٨٤
معنى (الثناء)، (التمجيد) ٨٥
عبودية (إياك نعبد وإياك نستعين) ٨٦
سر تقديم العبادة على الاستعانة ٨٦
القرآن مداره على هذه الكلمة ٨٨
ضرورة العبد لقوله (اهدنا الصراط المستقيم) ٨٨
سرد لأنواع الهدايات التي يفتقر لها العبد ٨٩
الخلق أمام الهداية ثلاثة أقسام ٩١
عبودية التأمين ٩٢
عبودية رفع اليدين في التكبير ٩٣
عبودية التكبير للانتقال ٩٣
عبودية الركوع ٩٤
إذا عظم القلب الرب خرج تعظيم الخلق ٩٥
عبودية القيام ٩٥
عبودية السجود ٩٦
أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ٩٧
الصلاة مبناها على خمسة أركان ٩٨

الموضوع	الصفحة
حال العبد بين السجدتين	٩٩
لماذا شُرع سجودان وركوع واحد	١٠١
الطواف في الحج كالسجود في الصلاة	١٠٢
الذي لا يخشع في صلاته مثله مثل الجائع	١٠٣
عبودية الجلوس للتشهد	١٠٥
معنى التحيات	١٠٥
معنى الصلوات	١٠٧
معنى الطيبات	١٠٨
أطيب الكلام بعد القرآن	١٠٩
معنى سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله	١١٠
عبودية السلام على عباد الله الصالحين	١١٠
معنى الشهادتين في التحيات	١١١
الصلاة على النبي	١١٣
سنن الأذان الخمس	١١٤
سر الصلاة: الإقبال على الله	١١٥
للإقبال على الله ثلاث منازل	١١٦
كيف يكون الإقبال على الله في كل جزء من أجزاء الصلاة	١١٧
الكلام على التسليم	١٢٠
ثمرات الخشوع في الصلاة	١٢١
لكل شيء ثمرة وثمرة الصلاة الإقبال على الله	١٢٢

الموضوع	الصفحة
الصلاة قرة عين العبد	١٢٢
لماذا الراحة بالصلاة	١٢٤
الصلاة إما سجن للعبد أو بستان له	١٢٥
من فوائد الصلاة القرب من الله	١٢٦
الفرق بين أهل السماع وأهل الصلاة	١٢٨
أذواق أهل السماع الحق والباطل	١٢٩
سماع أهل الحق	١٣٢
نكتة خفية من نكات السماع	١٣٤
أحوال بعض الصادقين عند سماعهم الباطل	١٣٦
تمثيل أنواع السماع في القلوب	١٣٨
القلوب ثلاثة	١٤٠
أنواع المحرمات في الشريعة	١٤١
الملاحق والفهارس	١٤٣
الملحق رقم (١)	١٤٥
الملحق رقم (٢)	١٥٠
الملحق رقم (٣)	١٥٢
فهرس الآيات	١٥٩
فهرس الأحاديث	١٦١
فهرس الآثار	١٦٣
فهرس الأشعار	١٦٤
فهرس المصادر والمراجع	١٦٥
فهرس الموضوعات والمحتويات	١٧٥